وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر- الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم التاريخ

الطب والأوضاع الصحية في تلمسان الزيانية

(633-923 هـ / 1235-1517م)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماستر أكاديمي في التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبات:
بن خليفة أمال
جابو جهيدة

إشراف الأستاذ:
السعيد عقبة

نوقشت المذكرة علنا يوم: 2023/06/06

أمام اللجنة المكونة من الاساتذة:

اللجنة	الجامعة	الصفة
أستاذ مساعد أ. زكري زكايرة	جامعة الشهيد حمة لخضر	رئيسا
أستاذ مساعد أ. السعيد عقبة	جامعة الشهيد حمة لخضر	مشرفا ومقررا
أستاذ مساعد أ. زيدور حميد	جامعة الشهيد حمة لخضر	ممتحنا

السنة الجامعية: 2023/2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الشكر والإمتنان إلى الله تعالى الذي أعاننا على انجاز هذه الأطروحة ووفقنا إلى إخراجها إلى النور
تم نتقدم بخالص الشكر والتقدير والإمتنان إلى الأستاذ الفاضل المشرف الدكتور عقبة السعيد لإشرافه على هذا العمل وكذلك لما قدمه لنا من تحفيزات وإرشادات وتوجيهات سديدة بكل صدر رحب كما نتقدم بالشكر والتقدير إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة على تفضلهم لمناقشة وتقييم هذه الأطروحة.

كما لا ننسى أن نتقدم بالشكر الجزيل إلي السيد أحمد عمار نجاح الذي تقاسم معنا عناء هذا العمل، كما لا ننسى مديرة المكتبة المركزية عديلة جابو، وكل من ساعدنا من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل.

وفي الأخير نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ويتقبله في صالح الأعمال

إهداء

اختلطت دموع فرحتي بتخرجي وحزني بوداع أحبتي في غمضة عين

إلى أبي الغالي، إلى حبيبتي سامية رحمهما الله

ولك يا سيدة نساء الكون في عيني التي تركتني في منتصف الطريق وندى روحي وبلسمها، أرفع قبعتي لك بكبرياء وشرف، رحمك الله وأراحك.

إلى حبيبي وقرة عيني صغيري وفلذة كبدي إبني الغالي تاجو، إلى سندي في هذه الحياة زوجي أحمد عمار نجاح، إلى رياحين حياتي، منير، حسان، كريم، ريحة، نورة، ليندة، إلى عائلة زوجي، كل واحد باسمه، إلى أسرة مدرسة صالح بوغزالة وعلى رأسهم السيد المدير.

إلى جميع من لم يخط اسمهم قلمي ويتذكرهم قلبي، إلى كل من دعا لي بالتوفيق والنجاح.

أهديه هذا العمل.

ـــ آمال بن خليفة ـــ

إهداء

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير وأهدي ثمرة عملي وجهدي:

إلى مدرسة روحي وينبوع الحب والحنان، من علموني أن الحياة كفاح ونضال، إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما وحفظهما لي ما حييت وأدامني على طاعتهما.

إلى النفوس البريئة والقلوب الطاهرة البيضاء سندي في الحياة ... أخواتي: عديلة رمز الكفاح والطموح، سميحة وزوجها، إيمان وزوجها وابنتها ليان.

إخوتي: إياد، عماد الدين، محمد الأخضر، فارس وزوجته هناء وأبناءه هيلمان، ولاء الإسلام، هزار، محمد ماهر.

وإلى كل الأهل والأقارب عائلة (جابو – لحول) وكل الأحباب والأصدقاء دون استثناء، إلى كل زملائي بمتوسطة شاوش محمد تبسبست. وأسرة مادة العلوم الاجتماعية المقاطعة الأولى تقرت.

إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد من الذين وسعهم قلبي ولم يدركهم قلمي.

جهيدة

قائمة الاختصارات

الرمز	الدلالة
ط	الطبعة
ت ح	تحقيق
تر	ترجمة
هـ	تاريخ هجري
م	تاريخ ميلادي
ج	الجزء
ص	الصفحة
ص ص	صفحات
ت	توفي
تعر	تعريب
تع	تعليق
ع	العدد
مج	مجلد

مقدمة

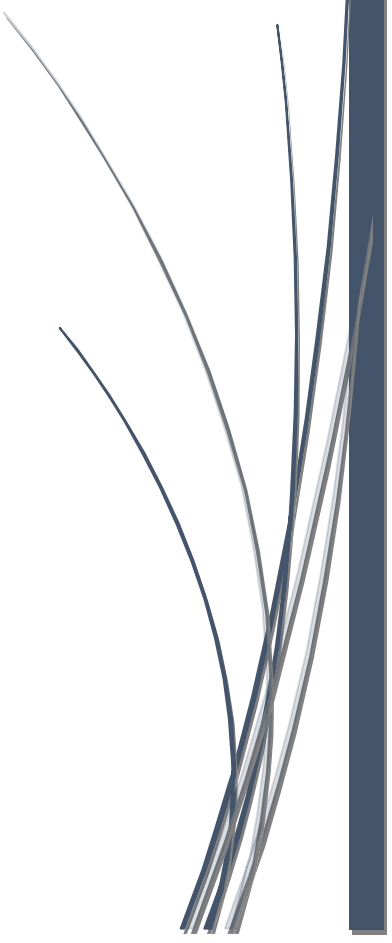

مقدمة

تأسست الدولة الزيانية سنة 633هـ/1235م على أنقاض الدولة الموحدية، وقد عمرت الدولة التي أسسها يغمراسن أكثر من ثلاثة قرون إلى غاية 933هـ/1517م، عرفت خلالها أزمات كثيرة وكوارث متعددة أثرت على المجتمع تأثيرا كبيرا نظرا لما شكلته من خطر حقيقي على حياة السكان واستقرارهم على كافة الأصعدة، وتعتبر أزمة الأمراض والأوبئة أشدها وقعا على المجتمع التلمساني، أفرزت واقعا لامس السكان مباشرة واستصعب عليهم تقبلها والعيش معها.

أهمية الموضوع

تكمن أهمية الموضوع في كونه يبرز لنا مدى اهتمام المجتمع التلمساني في العهد الزياني بمجالي الطب والصيدلة في العصر الوسيط وأهميتهما في حياة الأفراد، كونها الطريقة التي يستطيع الإنسان بها الاستمرار والتغلب على الأمراض، بالإضافة إلى تقديم رؤية شاملة حول أهم الأوبئة وطرق علاجها في تلمسان في العهد الزياني.

أما الدوافع التي أدت الى اختيار هذا الموضوع فتمثلت في:

- محاولة تسليط الضوء على هذا الموضوع وإزاحة شيء من الغموض الذي يحيط به، وذلك لقلة الدراسات الخاصة بهذا الجانب.
- الرغبة في الوقوف على الإسهامات الطبية والصيدلية في تلمسان خلال العهد الزياني.
- اهتمام معظم الباحثين والدارسين في دراستهم بالجانب السياسي والعسكري والاقتصادي وتغييب الجانب الطبي والصحي.
- إبراز أهم الأمراض والأوبئة التي اجتاحت تلمسان في هذا العهد.
- إلقاء نظرة على أهم المرافق الصحية والتعليمية آنذاك في تلمسان وأهم المواد المستعملة في العلاج.
- إبراز الدور الذي لعبه العلماء والأمراء في تلمسان في العهد الزياني في الجانب الصحي.

- التعريف بالأطباء الذين عرفتهم تلمسان ودورهم في القضاء على هذه المشاكل.

كما أن علم الطب في تلمسان في هذه الفترة كان يعاني من نقص فيما يخص الدراسات التاريخية، لهذا ارتأينا المساهمة في إثراء البحث في هذا المجال ولو بالقليل.

أما الدراسات السابقة التي تتناول الطب والأوضاع الصحية في المغرب الأوسط عامة وتلمسان في العهد الزياني بصفة خاصة والتي أفادتنا في جمع المادة العليمة او تنظيم الموضوع، أو على مستوى تنظيم الموضوع، وأهمها، مذكرة بعنوان: الطب والأطباء في المغرب الأوسط خلال القرن (6-10هـ/12-16م)، لسلمى ماضوي.

كذلك مذكرة بعنوان: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)، لسمية مزدور الذي تناولت فيه صاحبتها مختلف المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط خلال الفترة المدروسة، بعد أن فصلت في ذكر أسبابها وطرق العلاج، كما تطرقت إلى مختلف أطباء المغرب الأوسط.

إضافة الى مذكرة المنظومة الطبية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن (2-8هـ/8-14م)، كذلك مذكرة الأوضاع الصحية في المغرب الأوسط من خلال كتاب المعيار للونشريسي (ت914هـ/1508م) التي تطرقت إلى عدة جوانب من بينها أهم المجاعات والأوبئة التي مست المنطقة، بالإضافة إلى طرق العلاج من التداوي بالأعشاب والنباتات وكذلك السحر والشعوذة ودور الأطباء في العلاج والتغلب على الأمراض.

وكذا مذكرة بعنوان: الرحلة العلمية لعلماء المغرب الاوسط الى المغرب الأدنى من القرن (7-9هـ/13-15م) لبوكرديمي نعيمة، فضلا عن المقالات التي تناولت موضوع الدراسة وأهمها مقال: الأمراض والأوبئة وأثرهما على مجتمع المغرب الأوسط الزياني خلال القرن (7هـ/13م)، لريم محمود راشد، وأيضا الطب والأطباء بتلمسان في العهد الزياني، لقاسمي بختاوي.

كذلك منظومة العلاج في المعرف الصحية بتلمسان الوسطية لشغوم سعدي. وأيضا مقالة بعنوان هجرة الأطباء العرب واليهود الى تلمسان، قراءة في الخصوصية التاريخية والاجتماعية للممارسات في المجتمع التلمساني للعرباوي عمر.

إضافة الى قراءة في الحركة العلمية بتلمسان الزيانية (633-922هـ/1236-1554م) لمغنية غرداين، كما لا ننسى المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد لزياني (698-845هـ/1299-1442م) لخالد بلعربي.

ومع كل هذه الدراسات، لم نجد دراسة خُصصت لدراسة الوضع الصحي في تلمسان بشكل خاص، وإنما تناولت بشكل عام المغرب الأوسط.

إشكالية البحث

للغوص في الموضوع أكثر وإزاحة الغموض عنه، قمنا بطرح الإشكالية الرئيسية التالية:

ما واقع الطب في تلمسان في العهد الزياني؟ وكيف كانت الأوضاع الصحية السائدة في هذه الفترة؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية الأسئلة الفرعية التالية:

- ما هي الأمراض والأوبئة التي كانت منتشرة في تلمسان في العهد الزياني؟
- من هم أهم الأطباء الذين برزوا في هذه الفترة المدروسة؟
- ما هي أهم المؤسسات الاستشفائية والتعليمية في تلمسان وكيف ساهمت في تطوير علم الطب ومعالجة الأمراض، وما هي الطرق المستخدمة في العلاج؟

أما فيما يخص المنهج المتبع في إنجاز هذه الدراسة، فقد تنوعت بحكم تعدد حيثيات هذا الموضوع، حيث اعتمدنا على عدة مناهج تاريخية منها:

المنهج الاستقصائي الذي وظفناه في المدخل التمهيدي، لتحديد الموقع الجغرافي لتلمسان وضبط حدودها، إضافة إلى المنهج السردي من خلاله تمكن من سرد الأحداث والوقائع التاريخية كما وجدت وكذا التعريف ببعض الشخصيات الواردة والمنهج الوصفي الذي وظفناه في وصف أهم المؤسسات الاستشفائية والتعليمية في تلمسان، أما المنهج الإحصائي فقد ساعدنا كثير في عد أهم الأطباء اللذين عرفتهم تلمسان وأهم مؤلفاتهم، بالإضافة الى منهج التراجم والسير من خلاله تمكنا من إعطاء سيرة وترجمة ذاتية للأطباء محل الدراسة.

الخطة المتبعة وعملا بالشروط المنهجية المتعارف عليها، قسمنا خطة البحث إلى مقدمة، مدخل تمهيدي وفصلين، وكل فصل تندرج ضمنه عدة مباحث بالإضافة إلى الخاتمة، وملاحق.

ففي المدخل التمهيدي الذي يعد مدخلا للفصول التي تليه، قمنا بإعطاء لمحة تاريخية وجغرافية لتلمسان حيث حددنا من خلاله الموقع الجغرافي لتلمسان الزيانية، والمجال الزمني لهذه الدراسة، مع التطرق لأهم التسميات التي عُرفت بها تلمسان، دون أن ننسى أصل بني عبد الواد.

وفي الفصل الأول تحت عنوان: الاوضاع الصحية العامة في تلمسان حيث قسمناه الى مبحثين المبحث الأول بعنوان: الطب في تلمسان في العهد الزياني أما المبحث الثاني، فكان تحت عنوان : الامراض وطرق الاعلاج والادوية .

أما الفصل الثاني تحت عنوان: المؤسسات والمنشئات الطبية والتعليمية في تلمسان الزيانية في المبحث الأول تناولنا المؤسسات التعليمية والطبية والصيدلانية التي كانت منتشرة في تلمسان في الفترة محل الدراسة، أما المبحث الثاني فتطرقنا فيه لذكر أهم الأطباء ومؤلفاتهم.

عرض المصادر والمراجع

اعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر التي ساهمت في اثراء موضوع البحث وتتمثل في كتب الجغرافيا، كتب التراجم والمناقب، وكتب التاريخ العام، التي استيقت منها المادة العلمية.

أ- كتب التاريخ العام

1- **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، لأبي زكريا يحي بن خلدون (780هـ/1378م)، أفادنا هذا الكتاب في ذكر بعض المجاعات وإبراز دور السلاطين في مواجهتها.

2- **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس**، (ت 726هـ/1326م) لابن أبي زرع الفاسي، أفادنا في ذكر المجاعات والاوبئة في تلمسان في العهد الزياني، وكذلك عن أسباب حدوثها.

3- **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، لعبد الرحمان بن خلدون (ت 808هـ/1406م)، وهو كتاب شامل لتاريخ البشرية، يعتبر من الكتب المهمة لأي باحث، ركَّز على الجانب السياسي والعسكري، في المغرب الأوسط عموما وتلمسان خصوصا، إلا أن ابن خلدون لم يغفل عن ذكر أزمات الجوع والوباء التي تجتاح الدول، والأهم من ذلك أنه المصدر الوحيد الذي فصَّل في ذكر المجاعة التي وقعت في تلمسان زمن الحصار المريني عليها (698-707هـ/1298-1307م).

ب- كتب الرحالة والجغرافيا:

1- **وصف إفريقيا**، للحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي (ت957هـ/1559م)، في هذا الكتاب وصف كل المدن الواقعة في افريقيا، وكذلك في رصد الامراض الموجودة هناك، كذلك ذكر المجاعة الكبرى التي حدثت بتلمسان إبان الحصار المريني وبعض الآثار الناتجة عنها.

2- **الروض المعطار في خبر الأقطار**، وهو كتاب من تأليف عالم البلدان محمد بن عبد المنعم الحِميَري.

ج- كتب الطبقات والتراجم

هذه الكتب لا تؤرخ الا للعلماء والفقهاء، لكن من حسن حظنا أنها أعطتنا أزمنة بعض الأوبئة والطواعين، أهمها:

1- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء في تلمسان،** لابن مريم المليتي التلمساني (ق11هـ/17م)، حيث ترجم فيه المؤلف لعدد من صلحاء تلمسان وعلمائها، كما اهتم بذكر بعض المجاعات في بعض التراجم.

2- **عنوان الدراية فيمن** عرف **من العلماء في المئة السابعة ببجاية، للغبريني الجبائي (ت 704هـ/1304م)،** وفيه ترجم للعلماء والأطباء.

3- **عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لأبو العباس أحمد بن أبي أصيبعة (668هـ/1269م)،** حيث يترجم في كتابه لكثير من الأطباء في مختلف العصور، استفدنا منه في ترجمة أطباء تلمسان في العهد الزياني.

د-كتب المناقب

1- **أُنس الفقير وعز الحقير،** لابن قنفذ أبي العباس أحمد الخطيب القسنطيني، (ت810هـ/1408م) وذكر فيه ابن قنفذ رحلته ومعايشته للمجاعة العظيمة التي عمت بلاد المغرب كلها سنة 776هـ/1375م، وكان وقتها في تلمسان، حيث فصل في ذكر مظاهرها الاقتصادية والدينية والاجتماعية، كما ساعدنا من خلال كيفية معالجة الأولياء الصالحين للمرضى.

ومن المراجع نذكر، **تلمسان في العهد الزياني،** لعبد العزيز فيلالي، الذي أورد في كتابه ذكر بعض الأمراض والأطباء والبيمارستانات.

كذلك نذكر مذكرة المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م) لسمية مزدور، التي ساعدتنا كثيرا في توجيهنا إلى أهم المصادر والمراجع التي تخدم موضوع الدراسة.

صعوبات البحث

وقد واجهتنا في هذه الدراسة جملة من الصعوبات، أبرزها قلة المادة المصدرية التي تتناول موضوع المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني، وهذا ما صعب علينا دراسة جوانب كثيرة من الموضوع، مقارنة بمصادر تاريخ الطب في بلاد المشرق الإسلامي.

وفي الختام، لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الوفير للأستاذ المشرف **الدكتور السعيد عقبة**، الذي منحنا الكثير من وقته وجهده، و لم يبخل علينا بالنصيحة والمشورة.

مدخل تمهيدي

تلمسان في العهد الزياني جغرافيا وتاريخيا

(633-923 هـ/ 1235-1517م)

أولا: لمحة جغرافية.

ثانيا: لمحة تاريخية.

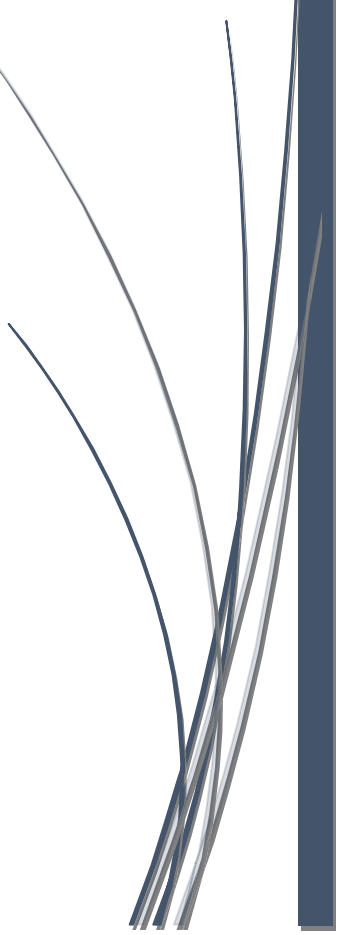

مدخل التمهيدي:

1- لمحة جغرافية عن تلمسان في العهد الزياني (633-923 هـ/ 1235-1517م):

1-1 الموقع الجغرافي:

تقع تلمسان في الشمال الغربي من المغرب الأوسط[1]، فتحتل بذلك موقع استراتيجي ممتاز[2]، تتربع على رقعة جغرافية كبيرة في الإقليم الرابع[3] حيث تنحصر بين درجة طول أربعة عشرة درجة وأربعين دقيقة (14.40°)، ودرجة عرض ثلاثة وثلاثين درجة واثنا عشرة دقيقة (33.12°)، أمّا الجغرافيون فقد حددوا موقعها بين خطي طول واحد وثلاثين درجة غرب غرينتش[4]، وخط عرض أربعة وثلاثين وثلاثة وخمسين درجة شمال خط الاستواء.[5]

أما حدودها الجغرافية فيحدها من الشمال البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط)، وجنوبا المفارز الفاصلة بين بلاد المغرب وبلاد السودان (الصحراء الكبرى)[6] على مسافة لا تتعدى 25 ميلا في بعض النقاط[7]، أما من الجهة الشرقية والغربية فلم تكن حدودها ثابتة فكانت بين مد وجزر بسبب الصراع الدائم مع الدولة الحفصية شرقا، وبنو مرين غربا على مسافة ثلاثمائة وثمانين ميلا. ففي أوج قوتها العسكرية وأثناء استقرار وولاء القبائل وانسجامها كانت تمتد شرقا حتى قسنطينة، دلس وبجاية،

1- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص87.

2 - يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، تلمسان في عهد يغمراسن، ص122.

3- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، جامعة نابلس، ص09.

4- غرينيتش: مدينة في إنجلترا، اتخذها الجغرافيون كأساس لتقديم خطوط الطول، مسعود خوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج5، ص542.

5- أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المطبعة الأميرية، 1915، ص149.

6- حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ت محمد حجي، محمد الأخضر، ج2، ط2، 1983، بيروت لبنان، ص8.

7- أبو العباس أحمد القلقشندي، مرجع سابق، ص151.

ومن الغرب تمتد حتى مدينة تاوريرت[1] تحديدا من وادي ملوية في الشمال الغربي إلى إقليم فيجيج في الجنوب الغربي.[2]

1-2 الخصائص الطبيعية:

تتميز تلمسان باختلاف وتنوع تضاريسها ومناخها، بسبب وقوعها على سفح جبل[3] طرارة[4] أكثره شجر الجوز[5]، حيث يقارب ارتفاعه عن سطح البحر بحوالي 850 م، وتبعد عن سطح البحر بما يقارب نحو 6 ميلا[6]، فهي مدينة ساحلية سهلية تشرف على ساحل بحري أعطى لها منظر جمالي،[7] كما لها تركيبة جيولوجية خاصة بها تميزها عن بقية الأراضي في المغرب الأوسط، حيث تتكون من عدة طبقات فوق بعضها البعض، أعلاها طبقة مكونة من صخور الكلس، تليها طبقة مكونة من الصلصال ثم تأتي بعدها الطبقة المكونة من الطين وهي تركيبة تسمح باجتماع المياه في باطن الأرض عند نزول الأمطار، فتنفجر منها عيون تنحدر من الجبال شاقةً طريقها عبر الأودية و مفارز عديدة،[8] فتعددت السهول المحيطة بها من جهاتها الأربعة منها سهل الحرصون الواقع في جزئها الشرقي، والمنية الواقع في شمالها، بالإضافة إلى سهل الشلف وسهل الحنايا الممتد أقصى شمالها، وسهل زناتة الواقع في الشمال الغربي.[9]

1- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج2، ص207.
2- ينظر الملحق رقم 01، ص75.
3- أبو العباس أحمد القلقشندي، مرجع سابق، ص150.
4- محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تج إحسان عباس، مكتبة لبنان للطباعة، 1975، ص135.
5- محمد عبد المنعم الحميري، مرجع سابق، ص135.
6- الحاج رمضان محمد شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، 2011، ص27.
7- محمد العبدري البلنسي، الرحلة المغربية، ت سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، الجزائر، 2007، ص28.
8- الحاج رمضان محمد شاوش، مرجع سابق، ص29.
9- أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الجفان، جامعة تونس، 1978، ص94.

أما مناخها فامتازت بهواء لطيف فلا هو رطب، شأن المدن الساحلية لبعدها نوعا ما على البحر، ولا هو حار صيفا شأن المدن الواقعة في السهول والهضاب العليا لقربها منه. أما بنائها فعلى سفح جبل يقيها من الرياح الحارة الآتية من الجنوب في فصل الصيف أما الخريف فمدته قصيرة.[1]

ساهمت هذه العوامل في خصوبة تربتها وكثرة بساتينها الفيحاء وتنوع أشجارها الباسقة وثمارها المحدقة.

أما في وصفها العام فقد وصفها صاحب كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار **"فهي دار زناتة في العصور القريبة. وتدور من حولها قبائل كثيرة من زناته وغيرهم من البربر ولها قرى كثيرة وعمائر متصلة ومدن كثيرة ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة وهي باب الحمام، وباب وهيب وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قرة وفيها بقية من النصارى لهم كنيسة معمورة وبها سور متقن ونهر كبير يسمى سطنيسف[2] ويَسَّرْ ومِنشكانة والوَريط".**[3]

2- لمحة تاريخية عن تلمسان في العهد الزياني:

2-1 أصل التسمية:

اتخذت مدينة تلمسان منذ نشأتها وعبر مراحل تاريخها القديم والوسيط أسماء عديدة، فعُرفت باسم بومايا وهو اسم روماني قديم معناه البساتين لكثرة الحدائق التي كانت تحيط بها وتزين عمرانها[4]، كما عُرفت باسم أكادير أو أقادير أو أجادير وهي لفظة زناتية معناها الصخرة ذات الانحدار الوعر وهو ما يطابق موقعها وخصائصها الطبيعية خاصة علوها من جهة الشمال، أما لفظ تلمسان فأطلق

1- الحاج رمضان محمد شاوش، مرجع سابق، ص31.
2- محمد عبد المنعم الحميري، مرجع سابق، ص88.
3- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص88.
4- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص89.

عليها منذ أواخر القرن الثاني، وابتداء من القرن الثالث للهجرة (أواخر القرن الثامن أوائل القرن التاسع ميلادي).[1]

وقد اختلف المؤرخون في معنى التسمية، فمنهم من قال بفتح التاء وضم اللام وأنها كلمة عربية مركبة من تلم أي تجمع وسان أي الإنسان حذف منها أداة التعريف والهمزة والنون اختصارا.

ومنهم من قال بكسرتين فهو لفظ مركب من تلم أي تجمع وسن أي إثنين ويقصد بذلك أنها تجمع بين السهل والجبل، وقيل بين الصحراء والتل وقيل بين البحر والبر.[2]

ويقال أيضا أنها لفظة زناتية وأن أصلها تلمسين جمع تلمت وتعني عين أي ينبوع الماء الذي تحيط به الأشجار[3]، وقيل اسمها تلشان (بلغة القوم) وهي مركبة أيضا من تل ومعناه لها شان أي لها شأن.[4]

أما في معجم البلدان للحيمري "فقد ورد اسمها تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة، وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام بالمغرب وهما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة اختطها المسلمون وملوك المغرب واسمها تافرزت.[5]

أما بنو عبد الواد فنسبة إلى جدهم لأمهم عبد الوادي بن يادين بن محمد بن رزجيك بن واسين.[6]

1- الحاج رمضان محمد شاوش، مرجع سابق، ص34.

2- إبن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، (المجلد السادس)، ج7، بيروت، 1973، ص 102.

3- الحاج رمضان محمد شاوش، مرجع سابق، ص62.

4- يحي إبن خلدون أبو زكريا بن محمد، (ت780هـ/ 1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد الجزء الأول تحقيق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر، 1980، ص85.

5- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج2، دار الصادر، بيروت، 1977، ص207.

6- الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السُعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، ص159.

وهذا ما أكده يحي ابن خلدون في كتابة بغية الرواد "وعبد الواد أصله عابدي الوادي رهبانية عُرِف بها جدهم من ولد سجيح بن مدغيس الأبتر بن بر بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.[1]

2-2 أصل بني عبد الوادي (الزيانين):

بنو عبد الواد أو بني زيان هم أحد فروع الطبقة الثانية من قبيلة زناتة البربرية،[2] وهم من القبائل الرحل التي كانت تجوب صحراء المغرب الأوسط، وكانوا ينتجعون الأراضي الخصبة ويترددون على المناطق التي تقع بين فجيج ومديونة وجبل راشد، وفي عهد المرابطين سكنوا غرب المغرب الأوسط واستقروا فيه[3] وينقسمون إلى ستة بطون أهمها: بنو ياتكين، بنو أَلُو، بنو مصوحة، بنو تومرت، بنو رُصطف وبنو قاسم.[4]

وبسبب طاعتهم وولائهم لأمر الموحدين ومساعدتهم لهم في حروبهم ضد القبائل المعارضة، نالوا شرف منحهم أراضي بسطوا نفوذهم عليها امتدت من البطحاء شرقا إلى نهر ملوية غربا ضمت (بلاد بني أمانو وبني يلومي)[5]،[6] منحهم إياها الخليفة الموحدي المأمون الذي وَلَّى شيخ قبيلة بني عبد الواد إلى جابر بن يوسف اعترافا له بالجميل. فكانت هذه النواة والخطوة الأولى لتأسيس دولة بني

1- يحي إبن خلدون أبو زكريا بن محمد، مصدر سابق، ص186.

2- يحي إبن خلدون أبو زكريا بن محمد، مصدر سابق، ص186.

3- خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد السلطان يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، 633-681 هـ /1235-1282م، دار الألمعة للنشر والتوزيع، تلمسان، 2010، ص61.

4- خالد بلعربي، المرجع نفسه، ص64.

5- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص14.

6- أمانو وبنو يلومي: قال عنهما المؤرخ ابن خلدون: "وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناتة وأشدهم شوكة، موطنهم جميعا بالمغرب الأوسط، وكانت هاتان القبيلتان متحالفتان مع بعضهما، أما فيما يخص مواطن أمانو، فكان في المغرب الأوسط، شرق وادي ميناس (منداس حاليا) وحتى أسافل الشلف، ويجاورهم على الضفة الغربية لوادي ميناس، بنو يلومي، وثمة بعض الأحياء بينهما تعرف ببني يلداس، سلاوي خديجة: الحياة الاجتماعية للدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1555م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013-2014، ص15.

عبد الواد، ولكنة فشل في التوسع نواحي ندرومة فخلفه ابنه الحسن سنة 629 هـ فثارت عليه القبائل وخُلع من منصبه ليحل محله ابن عمه زغدان بن زيان بن ثابت سنة 631 هـ/1233م[1]. ثم خلفه أخوه يغمراسن بن زيان الذي بايعته القبائل سنة 633هـ/1235م، فضموا الاستقرار والأمن لأنفسهم في السهول الخصبة والغنية. وصاروا قوة في المنطقة بعد أن كانوا قبائل رحل.[2]

وبعد الاضطرابات والأوضاع السياسية التي عرفتها بلاد المغرب خاصة بعد ضعف وتراجع الدولة الموحدية وتقلص نفوذها بعد معركة حصن العقاب 609هـ/1212م والثورة التي قام بها بنو غانية والحروب التي كانت بين الموحدين وبنو مرين خاصة هزيمة سنة 612هـ/ 1216م.[3]

فإن بنو عبد الواد الذين كانوا يحكمون باسم تلمسان كسروا ولاء الطاعة وأعلنوا استقلالهم عن دولة الموحدين[4]. وبرز نجم الدولة الزيانية على يد مؤسسها الحقيقي يغمراسن إبن زياد بن ثابت بن محمد بن زيدان بندوكس بن طاع الله بن يمل بن برجي بن قاسم سنة 633هـ/1235م متخذين من تلمسان عاصمة لدولتهم فأصبحت قاعدة المغرب الأوسط، ودار زناتة[5] حيث تَعاقب على حكمها ثلة من السلاطين[6] والحكام وضعوا بصمتهم في تطوير الدولة واستمرارها وإحداث تغيرات جدرية للأوضاع بالمنطقة، ساعدهم في ذلك مجموعة من العوامل منها تحالف القبائل البربرية والعربية التي كان لها الدور الكبير في تسيير الأحداث في المنطقة.[7]

1- عمورة عمار: الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار الريحانة، 2022، ص79.
2- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص61.
3- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص13.
4- الحاج رمضان محمد شاوش، مرجع سابق، ص62.
5- محمد عبد المنعم الحميري، مرجع سابق، ص 135.
6- ينظر إلى الملحق رقم 02، ص76.
7- الحاج رمضان محمد شاوش، مرجع سابق، ص.ص 77،78.

2-3 السكان في تلمسان الزيانية:

ضم المجتمع الزياني في العصر الوسيط عناصر بشرية من أصول عرقية مختلفة، اندمجت مع بعضها البعض وكونت مجتمع تلمساني متجانسا، منهم البربر وهم السكان الأصليون ويشكلون الأغلبية، كما توافدت مجموعة من العناصر البشرية التي استقرت كالعرب المسلمين الذين وفدوا مع الفتح الاسلامي بداية القرن الأول هجري والسابع ميلادي والأندلسيون الذين كان لهم الأثر البارز بالإضافة إلى الأتراك والأعلاج والصقالبة والعبيد السود واليهود والنصارى[1] ...

أما بالنسبة لتعداد السكان فيتعذر رسم صورة واضحة ومضبوطة عن تعدادهم ذلك الانعدام النصوص والوثائق فكل ما ورد مجرد وصف لا يمكن ترجمته الى إحصائيات دقيقة، رغم ذلك يمكن الإشارة أنه بلغ عدد سكانها في العهد الموحدي نحو مائة ألف نسمة وتطور العدد في منتصف القرن 8هـ/14م أي مائة وعشرين ألف نسمة، ثم فقز إلى نحو عشرين ألف عائلة أي ما يزيد على مائة وخمسة وعشرين ألف نسمة ما بين القرنين 7- 8هـ/13-14م.[2]

أما حسن الوزان فقط أشار أن هناك تكاثر في عدد سكان تلمسان حيث الذي بلغ عدد دورها المسكونة ثلاثة عشرة ألف دار. [3]

1- صديقي محمد: القبيلة في الدولة الزيانية (633-962 هـ/1235 -1555م) مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة طاهر مولاي سعيدة 2017-2018م، ص.ص 49 - 50.

2- فيلالي عبد العزيز، تلمسان ص 169.

3- حسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، ص 19.

الفصل الأول

الأوضاع الصحية العامة في تلمسان

المبحث الأول: الطب في تلمسان في العهد الزياني

المبحث الثاني: الأمراض وطرق العلاج والأدوية.

المبحث الأول: الطب في تلمسان في العهد الزياني

المطلب الأول: إهتمام حكام بنو زيان بالطب

1- تعريف الطب

1-1 تعريف الطب لغة

عرَّفه الفراهيدي بأنه: "**السحر والمطبوب المسحور، والطب من تطبب الطبيبَ والعالم بالأمور، يُقال هو من طَبَّ أي عَالَمَ، وطَبَّ أي يتعاهدُ مواضع خُفِّه أين يضعه**".[1]

كما عرَّفه ابن منظور بأنه: "**علاج الجسم والنفس**"[2]، وجاء في المعجم الوسيط: "الرفق وحسن الاحتيال والسحر والدأب والعادة"[3].

والطب بكسر الطاء في لغة العرب، يعني طب بالأمور أي لطف، وساسةٌ إذا أصلحته، قال الشاعر:

وإذا تغير من تميم أمرها كنت الطبيب برأي ثاقب[4]

1-2 تعريف الطب اصطلاحا

عَرَّفه ابن خلدون بأنه: "صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث المرض والصحة فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية".[5]

1- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط1، تح عبد الحمد الأهنداوي، دار الكتاب العلمية، ج3، 2003، ص34.

2- إبن منظور أبي الفضل جمال الدين (711هـ/1311م)، لسان العرب، ج3، ط3، دار إحياء التراث، بيروت، 1999، ص133.

3- معجم اللغة العربية، معجم الوسيط، ص549.

4- ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، ص27.

5- ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ المغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، مر سهيل زكارة، دار الفكر للطباعة، بيروت، 2002، ص650.

وهو علم بقوانين تعرف منها أحوال أبدان الإنسان من جهة الصحة وعدمها وصاحب هذا العلم يسمى طبيبا[1]، كما أن الطب هو علم وفن موضوعهما علاج المرض أو منعه[2] كذلك هو علم يتعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة وما يصح ويزول عن الصحة يحفظ الصحة حامله ويستردها زائلة[3].

وأنشد الطبيب ابن سينا عن الطب في أُرجوزته قائلا:

الطب حفظ صحة وبرء مرض من سبب في بدن عنه عرض[4]

1-3 الطب في القران الكريم

ذكر الله عز وجل في كتابه كل ما يتعلق بالإنسان وحياته من خلال الآيات القرآنية الكريمة حيث يقول الله عز وجل في هذه الآية: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾.[5]

أكدت هذه الآية الكريمة أن هناك روابط قوية بين الدين وصحة الإنسان وذلك من خلال تطبيق الفروض والواجبات التي لها صلة بصحة الانسان حيث جمع الله عز وجل غايتين في هذه الآية الكريمة غاية صحية وغاية دينية كما أن القرآن الكريم دعا إلى الاهتمام بصحة الإنسان بعيدا عن السحر والشعوذة[6] فعندما جاء الإسلام أزال الارتباط بين السحر والشعوذة والصحة كما أن في القرآن الكريم إشارات طبية إلى طلب الاستشفاء والتداوي حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ كُلِي مِن

1- محمد علي التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح علي دحروج، ط1، مكتبة لبنان، لبنان، 1991، ج2 ، ص41.

2- محمد حبش، المسلمون وعلوم الحضارة، ط1، دار المعرفة، دمشق 1996، ص27.

3- ابن سينا، القانون في الطب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999، ج1، ص3.

4- الأرجوزة في الطب، عُني بنشرها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية جان جابي، عبد نور الدين، باريس، 1956، ص123.

5- سورة الأعراف، الآية 31.

6- إبن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ط2، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، ج6، ط2، بيروت، 1980، ص 37.

كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴿٦٩﴾﴾ [1].

لقد سُمي المرض عذابا وذرا وأذى من الشيطان[2] في قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ﴿٤١﴾﴾[3].

كما حوت السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة عن الطب والعلاجات الطبية الواردة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، إذ أن الطب النبوي صادر عن الوحي ويحتوي أقوال عن الرسول صلى الله عليه وسلم في الطب وعلى قواعد صحية[4] عديدة على الإنسان الأخذ بها لحفظ صحته، فقال ﷺ: **"صنفان لا غنى للناس عنهما الأطباء لأبدانهم والعلماء لأديانهم".**[5]

2- اهتمام الحكام بالعلوم الطبية

عرف سلاطين بن زيان ابتداءً من مؤسسي دولتهم بنصرتهم للحركة العلمية وتأييدهم للعلماء، حيث إن كتب التراجم والتاريخ منها على الخصوص كتاب "نظم الدر والعقبان" لمحمد التنسي، حافلة بأخبار المدارس التي شيدها السلاطين وبحفاوتهم بأهل العلم من سكان القطر أو القادم إليها من الخارج[6]، حيث نال الطب حظاًّ وافراً من الرعاية في تلمسان أيام حكم بن زيان، ذلك ان الحركة الفكرية عموما لقيت دعماَ وتشجيعاً من قبل الحكام.[7]

1- سورة النحل، الآية 69.

2- محمد حبش، مرجع سابق، ص27.

3- سورة ص، الآية 41.

4- إبن القيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق عبد الخالق، طبع التعاليق الطبية، عادل الأزهري وخرج الأحاديث محمد فرج، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1957، ص31.

5- الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الطب النبوي، القاهرة، 1972، ص9.

6- محمود آغا بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، ق9هـ/15م، ط2، دار ثالة، الجزائر، 2011 ص53.

7- قاسمي بختاوي، الطب والأطباء بتلمسان في العهد الزياني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد 4، ديسمبر 2016، مقالة، ص119.

وقد عمل سلاطين بني زيان على الاهتمام بالعلماء وقربوهم إليهم، على غرار اهتمام السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1234-1282م) الذي قرب أهل العلم والعلماء منه، وعلى خطاه صار أبو حمو الأول (707-718هـ/1307-1318م)، الذي جلب أولاد الإمام أبي يزيد (734هـ/1342م)، وأبي موسى (749هـ/1348م) وبنا لهما مدرسة. كذلك بالنسبة لأبو حمو الثاني (760-791هـ/1359-1388م)، كان مهتما بالعلماء فقربهم إليه وضمهم إلى بلاطه، ونذكر منهم "إبن مرزوق" الجد، الذي كان قد دَرَّس الطب، وعُرف عن السلطان أبي "زيان محمد" (796-801هـ/1393-1398م) أنه كان أيضا محبا للعلم والعلماء.[1]

كما كان معروفاً عن سلاطين بني زيان، أنهم جعلوا بلاطهم مجالس للعلم، ومؤسسات تقوم بدور فعال في مجال التعليم بصفة عامة، إذ توفرت على أكابر العلماء والطلبة فقد كان بلاط السلطان الزياني أبي تاشفين بن أبي حمو الأول مجلسا للعلم والتعليم[2]، كما أن هؤلاء الأمراء شجعوا العلماء على الاجتهاد في التدريس ونظموا حركة علمية استقطبت الكثير من أهل العلم.

أما فيما يخص علم الطب فقد عنوا به عناية خاصة، وقد انحصر دورهم كذلك زمن المجاعات بالتكفل بفئات معينة كالعلماء والصلحاء ممن ترجوا منهم مساندتهم، وهذا مؤشر على أهمية العلماء والصلحاء في نظر السلطة، كذلك عملوا على اقتناء نفائس كتبهم وتجميع مصادرها من المغرب والمشرق من أجل دعم المكتبات بأهم المصادر والمراجع الخاصة بالعلوم[3].

من أبرز مظاهر اهتمام سلاطين بني زيان بالعلم والعلماء كان تشجيعهم للعلماء الوافدين من الأندلس نحو المنطقة، مثل موشي بن صمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب[4]،

1- زهوة أعزيـــي، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018، ص ص 33-34.

2- عبد الجليل القريان، التعليم في تلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ/2011م، ص213.

3- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص319-320.

4- يُنظر ص 59.

وغيرهم ممن كانوا يتمتعون بمهارات متقدمة في كافة الفنون، بما في ذلك الطب. فقد منح السلاطين هؤلاء العلماء المجال الواسع لإظهار قدراتهم والمشاركة في بناء صرح حضاري متميز.[1]

كانت مهنة الطب تحظى بالاعتبار الكبير في تلمسان، حيث استقبلت أسرة بني زيان الأطباء والعلماء من جميع الأقطار لتدريس العلوم الطبية، وأنشأوا مواقع خاصة للصيادلة حتى يتمكنوا من صناعة الأدوية والمراهم والأشربة الطبية.[2]

مع تفشي الأمراض القاتلة والأوبئة التي تعرضت لها بلاد المغرب الأوسط، والآثار الاجتماعية والاقتصادية الوخيمة التي نجمت عنها، توجه السلاطين نحو اتخاذ إجراءات طارئة للتصدي لتلك الأزمات. من بين هذه الإجراءات كان إنشاء البيمارستانات، أو المستشفيات، لتقديم الرعاية الصحية للمواطنين والتخفيف من تأثير الأوبئة والأمراض.[3]

3- الجهود المبذولة في مواجهة المجاعات والأوبئة:

إثر الأزمات التي لحقت بتلمسان في العهد الزياني، لعب سلاطينها دوراً في محاولة التخفيف من حدة الجوع عن طريق أساليب منها فتح المخازن السلطانية، وقامت كذلك مؤسسات الحسبة والقضاء بدورها في محاربة الغش والاحتكار والتلاعب بالأسعار[4]، حيث نجد السلطان **"أبو حمو**

1- جمال يحياوي، الهجرة الأندلسية على تلمسان، آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3-4) أفريل-ماي، تلمسان 2011، ص ص 90-94.

2- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص242.

3- الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ط2، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص242-243.

4- شهاب الدين بن أحمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ى تح حسان عباس، م1، دار صادر، بيروت 1988، ص ص،2018 2019.

الثاني" (760-791هـ/1359-1388م) قدم نصف جبايته لضعفاء تلمسان وقسم عليهم الأرزاق بالعدل.[1]

كما لا يفوتنا التنويه لدور الأولياء أوقات المجاعة، حيث كان للمتصوفة والصلحاء دور في التخفيف من شدة الجوع الذي لحق بتلمسان الزيانية، سواء بالأداء الكلامي أو بالدعاء، أو عن طريق تشجيع الكرامات،[2] حيث نجد المتصوفة انتقلوا من الانطواء والانزواء إلى مشاركة الناس محنتهم، ومساعدتهم على التخلص من الازمات.[3]

ومن المعلوم أن الدور السلطوي زمن المجاعة كان منطلِقاً من رغبة السلطان في تثبيت أركان ملكه[4] ويظهر ذلك جليا في وصية السلطان أبو حمو لولي عهده حيث يقول: "في ذلك وإن كان زمن القحط ومحل ومجاعة واقعة وازل، فترفّق بهم في المخازن والمجابي، وتحسن لضعفاه من محتاجين وتحابي وتورثهم مما ادخرته لشدتهم".[5]

1- إيمان يخلف، المنظومة الطبية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن (2-8ه/8-14م) مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي 1945، ص189.

2- زهوة أعزيبـــي، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، (أطروحة دكتوراه)، جامعة محمد بوضياف المسيلة ،2018، ص156.

3- عبد الهادي بياض، مرجع سابق، ص56.

4- سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، (588-927هـ/1192-1520م)، رسالة الماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009، ص155.

5- أبو حمو موسى الزياني التلمساني، (ت791هـ/1388م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تونس، مطبعة الدولة التونسية، 1279هـ/1862م، ص87-88.

المطلب الثاني: أسباب تدهور الأوضاع الصحية في تلمسان الزيانية

1- الأسباب الطبيعية

تعرضت الدولة الزيانية لعدة كوارث طبيعية وظروف مناخية قاسية وذلك منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي،[1] الأمر الذي أثر على الاحوال الصحية أدى الي تفشي عدة أمراض بسبب الظواهر الطبيعية إضافة إلى المجاعات[2] بحيث كانت متكررة تقريبا كل خمس إلى عشر سنوات، إضافة إلى ظهور القوارض التي لعبت دورا في نقل وتفشي الأمراض[3].

كما كان للعواصف القوية دوراً كبيراً في إفساد الزرع وغلائه، حيث ذكر ابن مرزوق أن تلمسان كانت أشد بلاد المغرب الأوسط برداً[4]، وأشهرها كانت العاصفة الهوجاء التي ضربت تلمسان سنة 776هـ/1373م[5]، حيث أدت إلى إحراق المحاصيل الزراعية وحدوث مجاعة[6].

هذا وقد كانت الآفات الحشرية سببا هي الأخرى في حدوث مجاعات حيث داهم الجراد بلاد المغرب سنة 624هـ/1227م، فأهلك المحاصيل بإجماعها فارتفع القمح ومختلف المواد الغذائية[7] وتكرر قدومه سنة 630 هـ/1232م فعمت المجاعة في بلاد المغرب فتضرر الإنسان والحيوان.

1- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص253.

2- يحي إبن خلدون، مرجع سابق، ص135.

3- يحي إبن خلدون، مرجع سابق، ص 135.

4- إبن مرزوق شمس الدين أبو عبد الله محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيتوس فيغيرا، تقديم محمود بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص222.

5- ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901، ص64.

6- يحي إبن خلدون، مرجع سابق، ج3، ص11.

7- إبن مريم، البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب، وقدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986، ص174.

بالإضافة للأمطار الغزيرة التي أدت إلى حدوث فيضانات منعت الحرث والبذر وأتلفت المحاصيل[1]، فكُتب النوازل تذكر تضرر الفلاحين من التساقطات الزائدة، ومثال ذلك سئل القاضي أبو عبد الله بن علف عن رجل إكترى من رجل موضع فأتلفه السيل ودخل عليه وحمل منه نحو الثلث وتعطل عن غلته.[2]

كذلك كما أن لعدم سقوط الأمطار بانتظامٍ تهيئة للأرض لتفشي الأوبئة، ذلك أن سقوط الأمطار في غير موعدها أو بعد فترة من الجفاف يؤدي إلى ظهور بعض الأوبئة، وفي هذا يذكر حسن الوزان: **"أنه في بعض السنين يتزل المطر في شهر يوليو، فيفسد الجو كثيراً وتنشأ عنه حمى حادة تشتد على أكثر الناس، ولا ينجو منها الا القليل".**[3]

2- الأسباب البشرية

كان كيان تلمسان مهدداً فلم تعرف الاستقرار السياسي، حيث تداول عدة سلاطين على حكم هذه الدولة، حوالي 31 حاكما[4]، ناهيك عن الصراعات الخارجية مع الدولتين الجارتين الدولة

1- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين 3-4هـ/9-10م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992، ص455.

2- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج12، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م، ص 236.

3- الحسن الوزان، مصدر سابق، ص222

4- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022، ص500-501.

الحفصية من الجهة الشرقية[1]، والدولة المرينية من الجهة الغربية[2]، فقد هوجمت تلمسان أكثر من مرة وحاصرتها جيوش الدولة المرينية والحفصية في العديد من المرات.[3]

أما الأسباب البشرية فتتمثل في الحروب والفتن إذ لا تكاد الحروب تنتهي حتى تتصاعد من جديد تاركة وراءها الخراب والدمار والجوع، وفي هذا الشأن يذكر إبن هيدور أن الغلاء لحدوثه سببان، إما احتباس المطر في البلاد محتاجة اليه، وإما لظهور الفتن والحروب بسبب الخروج على الملوك، فإذا دامت الفتنة ووقع الفساد في الحواضر والبوادي وفسدت حبوبها المختزنة وانقطعت الطرق وعَظُمت المرافق لأجل ذلك،[4] وهناك عدة أمثلة عن الدمار التي كانت تخلفه الاضطرابات، يصف لنا ذلك ابن أبي زرعٍ الحملةَ التي قام بها السلطان المريني أبي يعقوب على تلمسان سنة 670هـ/1272م وكذا استغلال قبائل بني توجين التي كانت مناوئة للسلطة الزيانية باستغلال الفرصة، حيث خربت بجهات تلمسان فقطعوا الثمار ونسفوا الآبار وخربوا الربوع وأفسدوا الزرعة، و لم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم، عدا السدر والدوم[5] وبالتالي يمكن القول أن دور الطبيعة والانسان كان حاسما في حدوث المجاعات والأوبئة بتلمسان خلال العهد الزياني.

1- الدولة الحفصية: 627-982هـ/1228-1576، ويرجع سبب تسميتها بهذا الاسم إلى أبي حفص يحي بن عمر، وإليه يعود نسب الحفصين الذين ينتمون إلى قبيلة نتانة، الزركلي، الأعلام، ج4، القاهرة، 1959، ص176.

2- الدولة المرينية: هي دولة نهضت على أنقاض الدولة الموحدية في المغرب الأقصى سنة 688هـ/1269م، وهم سلالة بني مرين البربرية سقطت على يد الدولة الوطاسية سنة869هـ/1269م، السلاوي أبو العباس احمد الناصري (ت 1315هـ/1897م)، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ج4، الدولة المرينية، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء، 1954م، ص 240.

3- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص35.

4- ابن هيدور علي بن عبد الله التادلي، الأمراض والأوبئة، الخزانة الحسنية، الرباط، مخطوط رقم 9650،

5- ابن أبي الزرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة الورقية، 1972، ص131-132.

المطلب الثالث: أهم المجاعات في تلمسان في العهد الزياني

1- تعريف المجاعة:

المجاعة في اللغة هي مفعلة من الجوع ومن الفعل جاع يجوع فهو جائع وجوعان والجوع نقيض الشبع وهي خلاء البطن من الطعام جوعا.[1]

والمسغبة تعني المجاعة، جاء في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾.[2]

ويطلق على المجاعة أيضا الأُلبة، وهي مأخوذة من التألب والتجمع، لأن الناس يجتمعون في المجاعة ويخرجون ارسالا، ويقال للجوع أيضا الخوبة وأصابتهم خوبة، الخاء المعجمة أي مجاعة، ولفظ الخوض يطلق أيضا على الأرض التي لم تمطر بين أرض ممطرتين.[3]

ويطلق على السنة التي تحدث فيها المجاعة تسميات عديدة كالسنة الغبرة، وسنة لزبا أي شديدة، وهي السنة التي يكون فيها القحط واللزوب، وكذلك أطلق عليها السنة الحمراء لأن آفاق السماء تحمر من شده الجذب والقحط، والسنة الشهباء إذا كانت بيضاء من الجذب لا يُرى فيها خَضار، أو بيضاء لكثرة الثلج وعدم وجود النبات، وقيل إن شهباء هي ريح شديدة البرد.[4]

2- أهم المجاعات:

2-1 مجاعة 698-706 هـ/ 1299-1306م:

في نهاية القرن السابع الهجري، عانت مدينة تلمسان من أخطار الجوع الناجمة عن الحصار الذي استخدمته المرينيين كوسيلة حربية فعّالة. هذا الحصار، الذي بدأ في يوم 2 شعبان 698 هـ/1299م

1- ابن منظور لسان العرب، ج2، الصفحة 431 432، الجوهري الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج3، صفحة 1201.
2- سورة البلد، الآية رقم 14.
3- ابن منظور، المصدر نفسه، الجزء الأول، صفحة 368، الجوهري المصدر نفسه، الجزء الثاني، الصفحة 123.
4- ابن منظور، المصدر نفسه، ج1، ص 508-738، ج4، ص 210، ج8، الصفحة 66، الجزء 13، ص.ص 501-502.

وانتهى في ذي القعدة 706هـ/1306م، تسبب في مجاعة شديدة دامت لمدة ثماني سنوات وثلاثة أشهر. نتيجة لهذا الحصار الطويل، عانى سكان تلمسان بشدة حيث أصبحت الموارد الغذائية شحيحة للغاية.

المؤرخ الشهير ابن خلدون ذكر في توثيقه لهذه الفترة أن سكان تلمسان اضطروا للوصول إلى حدود اللاإنسانية بسبب شدة الجوع ونفاذ الموارد الغذائية، ووُصفوا بأنهم اضطروا لأكل الجيف والقطط والفئران، بل وصل الأمر إلى حدٍ زعموا أنهم أكلوا أشلاء الموتى من البشر للنجاة من الجوع.

يعتبر هذا الحصار من أطول الحصارات وأكثرها تدميرا في تاريخ المنطقة، حيث أظهرت الأحداث المأساوية التي حصلت في تلك الفترة قوة الوسائل الحربية المستخدمة من قبل السلطان أبو يعقوب وكيف أثرت على حياة الناس وأوضاعهم المعيشية.[1]

أما ابن الأحمر، فقد عبر عن معاناة سكان تلمسان بسبب المجاعة الناجمة عن الحصار المريني بقوله: **"إلى أن اضطروا لأكل الجيفة والحشرات وجميع الحيوانات الأخرى من الفئران والعقارب والحيات والضفادع وما إلى ذلك"**. بل ووصل الأمر ببعضهم حتى أكلوا بعضهم البعض، وكانوا يفرطون ويجففون غائطهم تحت أشعة الشمس حتى يتحول إلى جاف ثم يطبخونه ويأكلونه". وفي هذه الأوضاع الصعبة، لم يتراجع السلطان عن استمرار فرض الحصار على تلمسان، بل أصر على مواصلة الحصار وقال: **"لأواصلنه عليهم حتى اقتلهم جوعا"**.[2]

تعكس هذه الكلمات المأساوية التي نقلها ابن الأحمر حجم المعاناة والمأساة التي عاشها سكان تلمسان نتيجة لهذا الحصار الطويل والشديد. إذ يظهر من خلالها مدى تأثير الحروب والصراعات

1- إبن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، (المجلد السادس)، ج7، بيروت، 1973، ص197-198.

2- إبن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1423ه/2003م ، ص61.

على حياة البشر والمجتمعات، وكيف يمكن أن تدفع الظروف القاسية بالإنسان للوصول إلى أقصى حدود الصمود والتحمل.

لقد كانت هذه المجاعة قاسية بشكل لا يوصف، خاصةً بسبب مدتها الطويلة التي أثرت على حياة سكان تلمسان بشكل كبير. نتيجة لهذا الحصار المستمر، شهدت الأسعار إرتفاعاً ملحوظاً في المواد الغذائية والحبوب والخضر وسائر المرافق الأساسية. وبالتالي، كان عدد الضحايا الذين ماتوا جوعاً أكبر بكثير من الذين قتلوا بفعل الحروب والمعارك.[1]

توفي خلال هذه المجاعة عدد كبير من الناس، حيث أدت هذه الظروف الصعبة إلى تفريغ تلمسان من معظم سكانها الذين كان عددهم يفوق المئة وخمسة وعشرين ألف نسمة. وفي نهاية المطاف، لم ينج من هذه المأساة إلا بضعة آلاف من الناس الذين تمكنوا من التكيف مع هذه الظروف القاسية والبقاء على قيد الحياة.[2]

2-2 مجاعة 776هـ/1374م:

حدثت هذه المجاعة في عهد حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني 760-791هـ/1359-1379م وصفتها المصادر بالمجاعة الكبرى[3].

أما الونشريسي فأطلق عليها اسم المجاعة العظيمة[4]، وقد أرجع المؤرخون أسباب هذه المجاعة التي اجتاحت تلمسان خلال هذه الفترة إلى الإعصار الشديد الذي اجتاح بلاد المغرب الأوسط، يؤكد ذلك ابن خلدون الذي عاصر هذه المجاعة بقوله: **"وإنها نتجت عن إعصار عظيم أهلك زرع صائفة تلمسان وحيوانها، فأكل الناس بعضهم بعضا، وافترقوا إلى ما لدى السلطان، فتصدق عليهم**

1-إبن خلدون، نفس المصدر، ج7، ص198.

2- خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني، (698_845هـ/1299_1442م)، دورية كان التاريخية، العدد 4، ص22.

3- إبن قنفذ أحمد بن علي الخطيب، أنس الفقير وعز الحقير، الرباط، منشورات المركز الجامعي، 1965، ص105

4- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، مصدر سابق، ج5، ص98.

بنصف جبايته كل يوم على ضعفائها ويجتمعون في الرحاب الفسيحة المعينة فيقسم حفظه الله الأرزاق عدلاً بينهم".[1]

يذكر ابن قنفذ أن التقلبات المناخية لم تكن السبب الوحيد في خراب المغرب، بل كانت الحروب التي خاضها أبو حمو موسى الثاني خلال فترة حكمه وما رافقتها من فتن داخلية لها دور كبير في حدوث المجاعة، حيث إن تلك الحروب والصراعات الداخلية أثرت سلباً على استقرار المنطقة وأدت إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مما تسبب في انتشار المجاعة والمعاناة بين السكان.[2]

1- يحي ابن خلدون، مصدر سابق، ج3، ص11.

2- ابن قنفذ، مصدر سابق، ص105.

المبحث الثاني: الأمراض وطرق العلاج والأدوية

المطلب الأول: الأمراض والأوبئة وانعكاساتها على المجتمع التلمساني في العهد الزياني

1- تعريف المرض:

يُعتبر المرض كاختلال في التوازن الطبيعي للجسم، والذي يحتاج إلى تدخل لإعادة هذا التوازن، ويُمكن النظر إلى المرض على أنه اضطراب وظيفي يتطور بمرور الوقت، حيث يمثل حالة ديناميكية ومتغيرة بدلاً من حالة ثابتة. يتجلى هذا الاضطراب كتطور غير طبيعي في جسم الإنسان، وقد يستمر لفترات زمنية مختلفة، سواء كانت قصيرة أو طويلة. ومع ذلك، فإن كل مرض يتجه في النهاية نحو إحدى النتائج الثلاث: إما الشفاء التام، أو التحسن الجزئي مع بقاء بعض الأعراض، أو في بعض الحالات الشديدة، قد يؤدي المرض إلى الوفاة.[1]

2- تعريف الأوبئة:

مفهوم الوباء في اللغة العربية هو "مرض عام" وجمعها أوبئة، وأوباء، يُقال وَبئت الأرض توبأً، فهي موبوءة إذا كثر مرضها، وكذلك وَبِئت تَوَبَّأ وبَاءُه فهي وَبِئةٌ ووَبِيئةٌ، أيضا واستوبأت الأرضوَجدتُها وَبِئَةً، يطلق على الوباء مرادفات أخرى كالقرف، فيقال احذر القرفَ في غنمك وقيل القرف هو العدوى، ويسمى كذلك بالمرض الوافد لأنه يصحب الإنسان عن طريق الهواء أو المرض لأنه يشمل عددا كبيرا من الناس[2].

1- نقلا عن:مختار رحاب، الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع، مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس عشر، 2014، ص175.

2- نقلا عن: ريم محمود راشد،الأمراض والأوبئة وأثرها على المجتمع المغرب الاوسط الزياني خلال القرن 7ه/13م ،جامعة عمر المختار للعلوم الانسانية ،مجلد39،العدد 1،2021،ص ص 28،29.

كذلك ذكر الأنطاكي أن الوباء يكون مرتبطا بالهواء المتعفن ويقول: **"إن تغير الهواء إلى الفساد"**[1] وهو عند ابن الخطيب **"مرض حادٌ حارّ السبب سُمِّيَّ المادة، يتصل بالروح بدءاً بواسطة الهواء ويصرف العروق فيفسد الدم ويحيل رطوبته إلى السُّمية وتتبعه الحمى ونفث الدم ويظهر عنه خراج من جنس الطَّوَاعين"**[2].

فنجد الناس قد اعتادوا على إطلاق اسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد وتتمثل أكثرهم وتشمل أكثرهم وخاصة أنهم إذا تشاركوا في استعمال الهواء، فاذا كان الهواء فاسداً عمّ المرض أهل البلاد[3].

أما ابن خلدون فنجده يطلق عليها لفظ الموتان، والذي يعني الوباء، وذلك لأن الوباء يمثل الموتى بحدوث هذا المرض المفاجئ للإنسان والحيوان[4].

كذلك نجده باسم الأمراض الوافدة لأنها قادمة على الناس من بعيد مع الهواء[5].

أما طبيا فهو مرض بكتيري حاد مشترك بين الإنسان والحيوان، وهناك من يُعرِّفه على أنه مادة سُمِّية تُحدث ورماَ قاتلاَ[6].

وقد وقع الخلط بين الوباء والطاعون مما يصعب معرفة نوع المرض ولأي فترة زمنية يحدث فيها، فالوباء في الاصطلاح العلمي أشمل وأعم من مرض الطاعون، فكل طاعون وباءٌ وليس كل

1- الأنطاكي، داود عمر، بغية الرواد في المجرب من العلاج بيروت، دار الفكر، 1995، ص333.
2- إبن الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله، مقنعة السائل في المرض الهائل، تح حياة قارة، الرباط، مطبعة الكرامة، 2015، ص65.
3- سمية مزدور، مرجع سابق، ص20.
4- ابن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص110.
5- سمية مزدور، مرجع سابق، ص20.
6- عثمان بوحجرة، مرجع سابق، ص53.

وباءٍ طاعوناً،[1] فأغلب المفاهيم العلمية في تفسير مصطلح الوباء التي تتعارض فيما بينها وتتفق على أنه مرض ناتج عن تلوث بيئي بسبب فساد الهواء[2].

3-أهم الأوبئة والأمراض التي ظهرت في تلمسان في العهد الزياني وانعكاساتها:

يشير ابن خلدون إلى أن الأوبئة والأمراض الوبائية تأتي غالباً مع المجاعة، وغالباً ما تكون نتيجة غير مباشرة للمجاعة، وتُعتبر عادةً كمؤشر على نهاية حقبة تاريخية للدولة أو الحضارة. ويُشير أيضاً إلى أن كثافة العمران والتحضر، والتلوث الناتج عنه، يمكن أن يكون من العوامل المساهمة في انتشار الأوبئة،[3] حيث عرف المجتمع التلمساني خلال العصور الوسطى العديد من الأمراض الوبائية، والتي انتشرت بشكل كبير بين سكانها، وإحدى هذه الأمراض الفتاكة كانت الطاعون، الذي كان ينتشر بسرعة ويؤدي إلى وفاة العديد من الأشخاص في فترات قصيرة من الزمن.

3-1 الطاعون:

الطاعون هو واحد من أشد الأوبئة التي عانت منها البشرية، حيث يتميز بشدته وقدرته على الانتشار السريع والفتك بالحياة البشرية.

خلال العهد الزياني، عانت تلمسان من هذا الوباء عدة مرات، حيث كان يعود ليصيب المدينة بانتظام تقريبا كل 10، 15، أو 20 سنة، وألحقت هذه الجوائح الكبرى بالمدينة أضرارا جسيمة، وكانت العواقب كارثية للغاية، مما أدى إلى فقدان الكثير من الأرواح وترك البقية في حالة من الرعب والخوف المستمر.[4]

1- سمية مزدور، مرجع سابق، ص21.

2- ريم محمود راشد، الأمراض والأوبئة في مجتمع المغرب الأوسط القرن 7هـ/13م، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، مجلد 39، العدد 1، 2021، ص 29.

3- ابن خلدون، مصدر سابق، ج2، ص110.

4- الحسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص68.

3-1-1 الطاعون الأسود (750-751هـ/ 1349-1350م):

تفشى في عهد السلطان أبو سعيد عثمان الثاني (ت 753هـ/1353م) حيث عرف المغرب الأقصى انتشاراً لهذا الوباء سنةً قبل هذا التاريخ في عهد سلطان المريني أبو الحسن (ت 732-1352م)[1]، واعتبر المؤرخون هذا المرض من أشد الأوبئة فتكاً، إذ لم يسلم منه أي كائن، حيث كانت تلمسان عاصمة الدولة الزيانية أشد ضررا منه، حيث ففتك المرض بعائلات بأكملها، وقد عاصره أبو عبد الله الخطيب بن مرزوق، وتوفي فيه أحمد أبو عبد الله محمد بن يحيى النجار من خيرة علماء عصره في العلوم العقلية.

إن المصادر التاريخية لم تحدد لنا نوع هذا الطاعون الذي انتشر في المغرب الاوسط والتي قدمتها بعض المصادر الأندلسية والمشرقية باعتباره كان وباء عالميا،[2] فابن خاتمة يصفه بما يلي: **"إنه حمى خبيثة دائما من سوء مزاج قلبي مهلكة في الغالب أتبعها كرب وعرق غير عام، لا يعقب راحة ترتفع عقبه حرارته وقد يتبعها تشنج وبرد في الاطراف وقيء مراري سمج وعطش"**[3]، كذلك عرّفه الطبيب محمد بن أبي جمعة بن علي التلاليسي قائلاً: **"هو مرض قاتل خطير ينتقل بالدم يظهر تسمم عام بالجسم وارتفاع في الحرارة وحصول التهابات في الجلد والامعاء"**[4]. ويذكر المقريزي: **"وكان الميت بالطاعون يبصق دما ثمّ يصيح ويموت".**

1- ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002، ص155-156.

2- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص 23.

3- إبن أبي أُصيبعة (موقف الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة) ت(668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، إعادة الطبعة في القاهرة، معهد تاريخ العلوم العربية فرنكفورت، 1299-1416هـ، 1995م، ص198.

4- المقريزي، كتاب السلوك، ج3، ص773.

أما صاحب النجوم الزاهرة قال: **"كان يخرج خلف الأذن بثرة -أي خراجٌ صغير- فيخر الإنسان صريعا ثم صار يخرج كبة –أي غدة شبه الخراج-تحت الابط وكان الانسان إذا استيقظ يجد بوجهه خراجا فما أن يمد يده على موضع الخراج إلا ويموت في الحال".**[1]

فحسب الدراسات الحديثة فإن الطاعون الأسود الذي ضرب منطقة المغرب الاوسط وتلمسان على وجه الخصوص، كان قد تفشى في المغرب الاقصى سنة 749هـ/1345م قادماً من المشرق، ومن غير المستبعد أن تسرب هذا الوباء إلى بلاد المغرب الأوسط كان عبر تنقلات تجار هذه المدن المغربية إلى المغرب الأوسط، ولا شك أن الحصار المريني 750هـ/1346م قد ساهم هو الآخر في نشر هذا الوباء[2].

3-1-2 طاعون 764-765هـ/ 1363-1364م:

بعد أربع سنوات من حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/ 1359-1389م) عاود الطاعون فتكه بالبلاد مخلفا الكثير من الضحايا،[3] يرجع ابن الخطيب أصل هذا الوباء إلى المجاعة التي تفشت في بعض المناطق **"لكونها لم تستأثر بِبُلالة رحمة مما قسَّم الله لغيرها، إلى ما أصابها من مَعرَّة الفتنة إلى هذا العهد، واستهدف من بها إلى هلكةِ المجاعِ، وفُشُوِّ الموتان**[4]". وقد كان للمجاعة دور في تفشي الوباء ولعل من أسبابها الصراعات الداخلية على السلطة بين فروع الدولة الزيانية، حيث أثرت سلبا على المنظومة الإنتاجية فخلفت هذه الحرب الدمار والجوع[5].

1- إبن الثغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج10، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، 1963، ص198.

2- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص 23.

3- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص 23.

4- ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد السلمان، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق وتقديم السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص61.

5- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص82.

3-1-3 طاعون 845هـ/ 1442م

ظهر في عهد حكم العاهل الزياني أبو العباس العاقل بن أبو حمو موسى الثاني 834-866هـ/1431-1462م، مرض الطاعون الذي اجتاح الكثير من المدن في المغرب الأوسط التي كانت تحت حكمه، وكانت تلمسان أكثر تضررا من حيث أَثَّر هذا الطاعون على الكثير من سكانها[1]، وما يميز هذا الوباء أنه أصاب العامة والأسياد والشيوخ دون تمييز[2]، ولكن وعلى الرغم من الرخاء الاقتصادي الذي عرفته دولة بني زيان في عهده، فان ذلك لم يمنع من ظهور هذا الوباء، وقد أكدت الدراسات الحديثة أن الطاعون قدم إلى بلاد المغرب عن طريق السفن الواردة إليه من أوروبا وتحمل معها جرثومة، إما بواسطة القوارض أو البحارة المصابين[3].

من الأمراض المعدية التي عرفتها تلمسان أيضا، مرض الجذري[4]، الحصبة[5] والرمد[6]، لكن هذه الأمراض كانت أقل خطورة من الطاعون لأن هذه الأمراض عرفت بعض الطرق لعلاجها، إضافة إلى الأمراض العادية مثل الخوانق[7] والقولنج[8] وضيق التنفس.[9]

1- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 253.

2- ابن الخطيب، مصدر سابق، ص62.

3- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص24.

4- الجذري: هو مرض معدي وقوي وخطير وشديد العدوى، يتسم بظهور نفطات ودمامل وتسمم شديد في الجسم. حسان جعفر: الأمراض المعدية، دار النصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1988، ص90.

5- الحصبة: مرض معدي وحاد يصل إلى الموت أحيانا، تنتقل العدوى من شخص لآخر عن طريق الهواء (رذاذ المصاب، السعال، العطس، التحدث)، وكان يصيب الأشخاص الصغار في السن، حسان جعفر، مصدر سابق، ص92.

6- الحسن الوزان، مصدر سابق، ج2، ص134.

7- مرض الخوانق: من أعراضه ضيق التنفس وبقاء الفم مفتوحا وصعوبة الابتلاع وجحوظ العينين وخروج اللسان، وإذا اشتد الوجع ربما تنتفخ الرقبة والوجه ويتدلى اللسان، ويحدث هذا المرض من كثرة تقلبات الجو وشدة البرد المشهورة بها تلمسان. إبن سينا، القانون في الطب، القاهرة، 1294هـ، ج2، ص200.

8- هو مرض يصيب الأمعاء ويتسبب في التهابات المعدة، أنظر إبن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1968، ج1، ص43.

9- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 418.

3-2 نتائج انعكاسات الأوبئة على تلمسان:

3-2-1 النتائج السياسية:

أسفر توالي الأمراض والأوبئة بأعلى المغرب الأوسط عامة، وتلمسان خاصة خلال هذه الفترة إلى ظهور تفاقم العديد من المشاكل حيث اضطربت الأحوال الأمنية، وزاد عدم الاستقرار السياسي بفعل الصراع على السلطة بين فروع الأسرة الحاكمة، مما جعل الدولة عاجزة عن الدفاع على حدودها، وفتح الباب أمام الطامعين في الحكم من جيرانها الحفصيين والمرينيين للسيطرة عليها، فقد تسببت الحرب العنيفة بين أبي حمو موسى الثاني[1] وابن عمه ابن أبي زيان بن سعيد في الفترة الممتدة بين سنتي 762-783 هـ/1360-1381م، إلى انقسام الدولة الزيانية مما سهل الأمر على السلطان المريني عبد العزيز احتلال تلمسان سنة 772هـ/1317م.[2]

3-2-2 النتائج الاقتصادية:

تسببت الأزمات الطبيعية التي تعرضت لها تلمسان إلى إلحاق أضرار كبيرة بالجانب الاقتصادي بمختلف قطاعاته، الزراعية والصناعية والتجارية والحيوانية، مما أثَّر سلبا على النمو الاقتصادي، فمن الانعكاسات التي خلفتها المجاعة ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية خاصة الحبوب وذلك لأهميتها لدى السكان، بحيث تعتبر المادة الأساسية.[3]

1- أبي حمو موسى الثاني: ابن يعقوب يوسف أخ السلطان أبي سعيد عثمان الثاني، الذي أحيا دولة بني عبد الواد من يد الدولة المرينية، دامت فترة حكمه مدة 31 سنة (760-791هـ/1359-1389م)، محمد بن رمضان بن شاوش، باقة السوسان، مصدر سابق، ص88.

2- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص25.

3- عز الدين جسوس، الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطان والسياسة خلال حكم المرابطين، ضمن الايام الوطنية العاشرة المجاعات والاوبئة في تاريخ المغرب الجديد والجمعية المغربية للبحث العلمي، أكتوبر، 2002، ص61.

كذلك ندرة المواد الغذائية بسبب ضعف القدرة الشرائية نتيجة لنقص الأراضي المحروثة والمزروعة وقلة اليد العاملة بفعل موت السكان،[1] ما انجر عنه نقص في الإنتاج، والملاحظ أنه من النادر أن نجد كارثة طبيعية لا تقترن بالغلاء، فتارة يكون الغلاء بسبب تفشي الأوبئة، وتارة أخرى يكون نتيجة لها،[2] فنجد المصادر تتحدث على غلاء الأسعار بشكل كبير في الأزمات، ففي أثناء حدوث وباء سنة 764هـ/1363م، قفزت الأسعار بسرعة إلى مستويات قياسية عبر عنها التنسي بقوله: **"... بلغ فيها الرطل من القمح دينارين وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم، وذكر بعضهم أن ثمن الدجاجة بلغ الثمانية دنانير ذهبا".**[3]

ويصف ابن خلدون الوقائع قائلا: **"إن ثمن البقرة الواحدة 60 مثقالا والضأن سبعة مثاقيل، ونصفا من الخس بـ 20 درهما ومن اللفت بـ15 درهما والفقوس بـ40 درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بـ 30 درهما والحبة من التين والإجاص بدرهمين واستهلك الناس أموالهم وضاقت أحوالهم".**[4]

وبالمقابل أدت هذه المجاعة إلى فشل النشاط الرعوي وإلحاق خسائر كبيرة بالثروة الحيوانية كما شهدت أسعار اللحوم ارتفاعاً لمختلف أنوعها وذلك راجع لموت الحيوانات.[5]

1- محمد ياسر الهلالي: أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط، ضمن الأيام الوطنية العاشرة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الجديدة، الجمعية المغربية للبحث، 2002، ص177-178.

2- البياض عبد الهادي الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس، ق6_8هـ/12_14م، بيروت دار الطليعة، 2008، ص110.

3- التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود آغا بوعياد، الجزائر، موفم للنشر، 2011، ص132.

4- إبن خلدون، مصدر سابق، ص128.

5- سمية مزدور، مرجع سابق، ص 191-197-224.

من الآثار الاقتصادية التي خلفتها الكوارث، انخفاض قيمة العملة، فعلى سبيل المثال كان الدينار الزياني يتراوح في هذه الفترة بين 4،48غ و4،58 جرام، أما الدرهم فقدر بـــ1،5غ.[1]

3-2-3 النتائج الاجتماعية:

كان للأزمات الطبيعية التي تعرضت لها بلاد المغرب الأوسط عامة وتلمسان على وجه الخصوص في هذه الفترة أثر مباشر في حدوث خلل كبير في التوازن السكاني، حيث خلفت الكثير من الوفيات مما جعل عددهم يتناقص، كما كلف الحصار الذي فُرض على تلمسان، والتراعات المزيد من الخسائر البشرية، لكن يصعب تقديم أرقام دقيقة عن عددهم بسبب غياب الإحصائيات التي ستساعد في تقديم البحث التاريخي، فالمصادر تذكر نص الخسائر بعبارات مثل: **"لقد أُهلكت أمم لا تحصى"**[2] أو **"كان في الحفرة الواحدة المئة من الناس"**[43]، ورغم ذلك فإن هذه العبارات لم تعطنا حقيقة ثابتة،[5] كما شهدت تلمسان تحركات بشرية منها الاختيارية والاضطرارية، هربا من الموت بفعل الأوبئة والمجاعات، أو بسبب الغلاء[6]، فقد جرت العادة أثناء ظهور الوباء أن يغادر الأشخاص الأصحاء بشكل فردي أو جماعي، خوفا من العدوى، الأمر الذي كان يؤثر على التوزيع السكاني[7]، ومما

1- سمية مزدور، مرجع سابق، ص 202-204.

2- إبن عذاري محمد بن أحمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد ابراهيم الكتالي، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 326.

3- ابن أبي الزرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة الورقية، 1972، ص277.

4- الناصري أبو العباس احمد بن خالد، الاستقصاء في لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، تح جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997، ص264.

5- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص24.

6- الناصري، مرجع سابق، ج2، ص264.

7- الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة، المغرب في العهد الموحدي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2022، ص 52.

ساعد على ارتفاع عدد الوفيات بهذا الشكل سوء التغذية والأمراض الوبائية بالإضافة لقلة الوعي الصحي.[1]

كشفت الكوارث الطبيعية التي شهدتها تلمسان ردود فعل متباينة عبَّر عنها الإنسان في تلمسان بأشكال مختلفة، فتارة أهمها الانسحاب والهجرة بعيدا، وتارة تتخذ صورة عدوانية كامتهان حرفة السرقة والنهب وقطع الطرق.[2]

ويمكن القول أنَّ الأزمات والكوارث الطبيعية أثرت على القيم الإنسانية والأخلاقية، فاستفلحت ظاهرة النهب والسلب.[3]

3-2-4 النتائج الثقافية والعلمية:

يؤثر انتشار الأمراض الوبائية بشكل سلبي على النشاط العلمي والثقافي لأي بلد، فموت العلماء والهجرة التي تصاحب المرض أثرت سلبا على سير الحياة الثقافية، كتعطيل الدروس العلمية وهجرة بعض المعلمين، وهلاك بعض التلاميذ والصبية،[4] وفي ذلك يصف ابن خلدون اثناء الوباء الذي ضرب بلاد المغرب الأوسط سنة 749-750هـ /1348-1349م: **"كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب لتناقص العمران فيه وانقطاع سند التعليم".**[5]

وعلى صعيد آخر، قد تخلف مثل هذه الأزمات والكوارث اهتماما كبيراً لدى العلماء من خلال ما تنتجه هذه الفئة من كتابات علمية حول تلك الأحداث خاصة حول طاعون 749هـ/1348م، فنجد حسن بن علي الخطيب 749هـ/1348م ألف كتابا أسماه (المَسنُون في

1- سمية مزدور، مرجع سابق، ص224.
2- عبد الهادي البياض، مرجع سابق، ص 78.
3- خالد بلعربي، مرجع سابق، ص24.
4- سمية مزدور، مرجع سابق، ص243.
5- إبن خلدون، مرجع سابق، ج2، ص 630.

أحكام الطاعون)[1]، كما ألّف ابن يحي بن أبي بكر المشهور بابن أبي حجلة 776 هـ/1375م كتاب (المَسْنُون في دفع الطاعون).[2]

المطلب الثاني: طرق العلاج

اختلفت طرق العلاج بين العلم والخرافة، فهناك علاج شعبي، وعلاج طبي، والعلاج الشعبي في حد ذاته ينقسم إلى العلاج المادي والعلاج الروحي، بحيث كانت الدولة الزيانية تعتمد عليه بالدرجة الأولى، فكان أغلب ممتهني هذا العلاج هم شيوخ وحرفيين وحجامين[3] بالإضافة إلى الكواء[4].

1- الطب الوقائي:

وهو علم المحافظة على الفرد والمجتمع، يقوم على مجموعة من التعاليم والتدابير والإجراءات، لوقاية الفرد من الامراض، ومنع انتشار العدوى.[5]

حيث يشمل الطب الوقائي كذلك، سلامة وصحة البدن من الأمراض، فقد حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على المحافظة على الصحة، حيث كان يدعو إلى النظافة والطهارة.[6]

فالإسلام اهتم بالمظهر داخليا وخارجيا[7]، ونجد ذلك في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ

1- إبن قنفذ أحمد بن علي الخطيب، أنس الفقير وعز الحقير، الرباط، منشورات المركز الجامعي، 1965، ص355-356.
2- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر والترجمة، بيروت، 1980، ص364-365
3- مختار الحساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج3، ص117-118.
4- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص112.
5- أحمد شوقي الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991، ص11.
6- علي محمد الطاوع، مدخل إلى الطب الإسلامي، مجلة رسالة الإمام، ع5، وزارة الأوقاف، مصر، 1985، ص65.
7- عبد الحكيم عبد الله، إعجاز الطب النبوي، ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 1998، ص9.

فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾. [1]

كذلك ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل فيه رأسه وجسده. وهذا فيما يخص الفرد في حد ذاته. [2]

أما فيما يخص المجتمع والمحافظة على البيئة، فنجد الإسلام حريصا على نظافتها وهو واجب على كل فرد، وذلك بالمحافظة على المرافق العامة والأسواق وتنظيفها. [3]

أما فيما يخص الأغذية فقد حثت الأحاديث النبوية الشريفة على عدم الإكثار من تناول الطعام، فقد جاء في قوله صلى الله عل وسلم: **"ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، يحسب ابن آدم لقيمات يُقِمن صلبه، فإن كان لا بد فاعلا، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه".** [4]

ويرى ابن خلدون أن أصل الأمراض تتأتى من الأغذية[5]، فنجد أطباء المغرب الأوسط عموما وتلمسان على وجه الخصوص، اتخذوا من الطب الوقائي قاعدة لحفظ صحة الناس قبل وقوع المرض، كما نصحوا بضرورة اتباع نظام غذائي يلائم كل فصل من فصول السنة، ويكون موافقا لأعمار الناس وأجناسهم، [6] فيُعتبر فصل الربيع الفصل الذي تكثر فيه الأمراض، يرى الأطباء فيه ضرورة

1- سورة المائدة، الآية 6.

2- عبد الحميد قضاة: تفوق الطب الوقائي في الإسلام، ط1، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، عُمان، 1987، ص،ص 18،19.

3- محمد بن أحمد بن القاسم التلمساني العقباني، تحفة الناظر وعُنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح علي شوقي، Bulletin d'études orientales، مج19، فرنسا، 1967، ص،ص 275،276.

4- عباس حربي، وآخرون: العلوم عند العرب: أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995، ص228.

5- عبد الرحمان بن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص 520.

6- سعيد بن حمادة: الماء والإنسان في الأندلس خلال القرن 7و8 هـ/13و14م، إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2007، ص223.

الالتزام بأغذية خفيفة كلحم الجدي والماعز الصغير والدجاج والبيض، مع اجتناب الأغذية الرطبة كاللبن والحوت، ففصل الربيع في نظر هؤلاء الأطباء هو الفصل الملائم لمداواة الناس بالفصد.

أما فصل الصيف، فتكثر فيه الأمراض، حيث يرى الأطباء اجتناب الأغذية سريعة التحول كالألبان، واجتناب المالح من الأغذية كالزيتون، واجتناب البصل والثوم، ونصحوا بضرورة أكل الخيار والقثاء والعدس.

أما فصل الخريف، فنصح الأطباء بضرورة اجتناب المداواة بالفصد والحجامة، لأن ذلك يضر بالناس كثيرا، كما نصحوا بتناول الأغذية الغالب عليها الحرارة والرطوبة كالسمن الممزوج بالعسل، وأكل الفواكه الناضجة كالتين والعنب.

في حين، ينصح في فصل الشتاء تناول الأغذية اليابسة كالحبوب مثل العدس، واللحوم والأجبان وبعض الطيور[1].

2- العشابون:

"هم مجموعة من المتخصصين الذين لديهم معرفة عميقة بالأعشاب الطبية. يستخدمون هذه الأعشاب في علاج العديد من الأمراض والحالات الصحية المختلفة. وقد أدى التنوع البيئي للمغرب الأوسط، والذي يشمل مجموعة واسعة من الأعشاب والنباتات الطبية[2]، ساهم بشكل كبير في تطور مهاراتهم ومعرفتهم. بالإضافة إلى ذلك، ظروف الحياة القاسية والمتغيرة دفعتهم للاستفادة بشكل أقصى من الأعشاب المتوفرة في البيئة المحيطة بهم، وذلك من أجل البقاء ومواجهة الأمراض والأوبئة المختلفة.[3] "

1- سمية مزدور، مرجع سابق، ص ص170-171.

2- ينظر إلى الملحق رقم 04، ص78.

3- نقلا عن: سلمى ماضوي، الطب والاطباء فى المغرب الاوسط خلال (6ه-10ه/12م-16م)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، جامعة محمد بوضياف ،المسيلة ،2018-2019 ص ص 40 ،41.

3- العلاج الروحي:

هذا النوع من العلاج تدخل فيه بركة الولي لعلاج بعض الأمراض المستعصية،[1] فمن الأمراض التي كانت مستعصية في تلمسان مرض الخوانق، الذي كان يعالج ببصق ريق الرجل الذي له البركة عن طريق قراءة بعض التعويذات[2]، نجد في هذا المجال الشيخ محمد السنوسي ومحمد بن سليمان، هذا الأخير الذي وضع موسوعة جمع فيها العلم والتصوف،[3] ولا ننسى عبد الله بن عزوز التلمساني الطبيب الذي نُعت أو لُقِّب "بسيدي بله"، وقد كانت كلمة سيدي تستعمل استعمالا واسعا في المغرب الإسلامي عادة، وتعني وليا صالحا، وهي كلمة احترام تدل على مهابة أكثر وأرفع، هذا الأخير خلّف كتابا موسوما **"بذهاب الكسوف ونفي الظلمة في علم الطب والطبائع والحكمة"**[4].

4- العلاج بالسحر والشعوذة:

يرى ابن خلدون أن هذه الطريقة تتركز على قدرة بعض النفوس البشرية على التأثير بالسحر والطلسمات،[5] وبالرغم من أن المجتمعات الإسلامية تنبذ مثل هذه الأساليب لأنها تعتبر من الشرك، إلا أنها كانت تمارس في المغرب الأوسط،[6] والدليل على ذلك وجود مثل هذه الطقوس العلاجية هو اهتمام بعض العلماء بالتأليف في مثل هذه الأمور، حيث أشار ابن خلدون في مقدمته على كتابه بعنوان **"الأنماط"**[7].

1- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص246.
2- حسن الوزان، مصدر سابق، ج1، ص100.
3- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر العام، ص206.
4- الونشريسي، مصدر سابق، ج3، ص240.
5- سمية مزدور، مرجع سابق، ص184.
6- ابن خلدون، مصدر سابق، ج1، ص383.
7- ابن خلدون، المقدمة، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ المغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، مر سهيل زكارة، دار الفكر للطباعة، بيروت، 2022، ص557.

يعتمد في هذا العلاج على الحروف التي قسموها، كل سبعة أحرف تقابل أحد العناصر الطبيعية (النار، الهواء، التراب، والماء)، وجعلت الحروف المائية لدفع الحرارة ومداواة مختلف الحميات، في حين جرت الحروف النارية لمضاعفة الحرارة[1] لكن لم تحقق هذه الأساليب أية نتيجة.

ومن الأثر عن هذا الموضوع نجد كتاب ابن الحاج التلمساني **"شموس الأنوار وكنوز الأسرار الكبرى"** حيث ذكر فيه أساليب شتى للعلاج بطرق سحرية لأمراض عديدة ماعدا الوبائية.[2]

5- النساء القوابل:

صُنفت هؤلاء النسوة ضمن الفئات التي تمارس الطب الشعبي من عوام الأطباء، حيث تحدث عنهن ابن خلدون فقال: **"صناعة يعرف بها العمل من استخراج المولود الآدمي من بطن أمه ومن الرفق في اخراجه من رحمها وتهيئة أسباب ذلك ثم ما يصلحه بعد الخروج على ما نذكر، وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر، لما أنهن الظاهرات بعضهن على عورات بعض، وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة، استعير فيها معنى الإعطاء والقبول كان النساء تعطيها الجنين وكأنها تقبله".**[3]

وقد كن ماهرات في هذه المهنة، فهن يقمن مقام الطبيب وفي ذلك يثني عليهن ابن خلدون ويقول: **"وهذه كلها أدواء نجد هؤلاء القوابل أبصر بدوائها وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه إلى حين الفصال نجدهن أبصر بها من الطبيب الماهر".**[4]

1- ابن خلدون، المقدمة، ج1، مصدر سابق، ص 557.
2- سمية مزدور، ج1، مرجع سابق، ص 185
3- ابن خلدون، المقدمة، ج1، مصدر سابق، ص 382.
4- ابن خلدون، المقدمة، ج1، مصدر سابق، ص 383.

6- العلاج الطبي العلمي

كانت للدولة الزيانية خصوصية حضارية أهلتها لتكون مركزا للتكوين الطبي، ولا سيما بعد التوافد الذي حدث بعد سقوط غرناطة،[1] بحيث كان العلاج الطبي يتم تحت إشراف أطباء المارستانات[2]، وكانت مراكز العلاج تختلف من مكان لآخر، ولكن الوثائق التي تتحدث عن المارستانات التلمسانية انعدمت باستثناء الحالات التي ذكر فيها الحسن الوزان: **"كان المرضى يعالجون بالموسيقى المناسبة".**[3]

كانت كلمة حكيم منتشرة عند الناس، أما الأدوية فكان الأطباء والعلماء على حد سواء يقومون بتركيب الأدوية من النباتات المتوفرة في الدولة ويصنعون المعاجين والأشربة، إلا أن العمليات الجراحية كانت تقريبا شبه منعدمة، لكن ذلك لا ينفي وجود عملية جرت في عهد الدولة الزيانية،[4] كان من الصعب القيام بعملية جراحية دون النظر أو الربط مع العمل التطبيقي، ومن العمليات الجراحية البسيطة ما يتعلق بالجروح البسيطة والكسور[5] وربط أماكن الترف بالخيوط الجراحية والكي[6] ببعض الحالات وكذا عملية قلع الضرس[7] وفقع الجمجمة للطفل الميت عند الولادة بآلة

1- مملكة غرناطة: هي آخر دولة إسلامية في بلاد الأندلس، سقطت على يد المسيحيين سنة 1492هـ، إبن الخطيب، مصدر سابق، ص70.

2- ماريستان: هو اسم كان يُطلق على المستشفيات قديما، الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد، ت 704هـ، عنوان الدراية فيمن عُرف من المئة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1987، ص116.

3- الحسن الوزان، ج1، ص182.

4- محمد إسماعيل حداد، المجمل في آثار الحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،2006، ص ص411 -412.

5- ينظر الملحق رقم 10، ص83.

6- ينظر الملحق رقم 08، ص82؛ الملحق رقم 09، ص83.

7- ينظر الملحق رقم 03، ص77.

هارس الرأس، وكذا العديد من الأدوات[1] التي استعملت مثل أنبوب البرونج[2].[3] ومن الأطباء الذين مارسوا الجراحة الطبيب أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة بن علي التلاليسي.[4]

المطلب الثالث: الأدوية

الأدوية كما ورد عن الخوارزمي هي نوعان، الأدوية المفردة وتكون إما نباتية وهي تمر، أو بذور، أو أزهار، أو أوراق، أو قشور، أو عُصارات، أو ألبان، أو صموغ، وإما معدنية وهي حجرية أو مما ينبع، وإما حيوانية كأعضاء الحيوانات وأحشائه.

أما الأدوية المركبة الترياق، مشتق من تيريون باليونانية، وهو اسم لما يُنهش من الحيوان كالأفاعي ونحوها، تتمثل أصناف الأدوية المعجونة والمطبوخة والحبوب والأدهنة والأشربة، وقد نبغ المسلمون في الصيدلة واهتموا بالنباتات ومعرفة خواصها، وممن نبغ فيهم ابن البيطار[5] وغيرهم، أما فيما يخص المجتمع في المغرب الأوسط وتلمسان بالخصوص، فقد عمل الأطباء على معالجة الأمراض والتصدي لها بمختلف الأساليب منها استخدام الأعشاب والتداوي بها، والتي كانت موجودة في المنطقة، بالإضافة إلى اللقاح والفصد وبعملية الإسهال وتطهير الأمعاء والحجامة[6]، وهي أكثر أساليب المعالجة شيوعا في تلمسان. وفيما يخص الأدوية التي كان المرضى يستعملونها تمثلت في أنواع مختلفة من أشربة من العرعار والأدهان وحب الفلفل والتبور والبتور واللبد، وهي عبارة عن عروق نبات الأنسيون والسكر، يخلط بالماء ثم يقدم شرابا للعلاج، والعشاري وحب الزنم، وهو دواء يصلح للأمراض

1- ينظر إلى الملحق رقم 11، ص85.

2- هو آلة صنعت من الذهب والفضة تستخدم في علاج أمراض البلعوم: محمد إسماعيل حداد، مرجع سابق، ص412.

3- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، مصدر سابق، ج13، ص 24.

4- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص249.

5- ابن البيطار (646هـ-1284م) هو عبد لله بن أحمد بن البيطار ولد في مالقة جنوب اسبانيا، يعتبر من أعظم علماء التاريخ الطبيعي عامة وعلم النبات خاصة ومن أعماله تصنيفه للأدوية ينظر: باقر أمين الورد، معجم علماء العرب، ج1، مزذكوربرس عواد ط مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986.

6- ينظر إلى الملحق رقم 12، ص 86.

التناسلية والجنسية، وحب العروس وهو شراب يعالج الصداع ووجع الأسنان، وعصير العنب والرمان، كما أنه من عاداتهم تقديم للشخص الذي اشتد عليه الزكام مرق الشربة بالدجاج وحسو النشاء، كما أنهم صنعوا مرهما لعلاج الرمد، وذلك بخلط الحضض باللبن، وتطلى به الأجفان، وتغسل العينان بماء يطبخ فيه السادروج، ويعصب عليها ورق الهدب مدقوقا، ومعجونا ببياض البيض وورق الفجل ودهن الورد مدقوقا حتى يصيرا مرهما.[1]

1- عبد العزيز، فيلالي مرجع سابق، ج1، ص ص247،246.

الفصل الثاني

المؤسسات والمنشآت الطبية والتعليمية في تلمسان الزيانية

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية والطبية والصيدلانية.

المبحث الثاني: الأطباء ومؤلفاتهم.

المبحث الأول: المؤسسات التعليمية والطبية والصيدلانية

ارتبط تعليم وممارسة الطب في العهد الزياني بثلاثة مؤسسات أساسية حيث اهتمت بتعليم وتدريس الجانب النظري والتطبيقي له. وتتجسد هذه المؤسسات في المدارس، المارستانات وبلاط السلاطين وكذلك بعض المساجد التي كانت تشرف على بعض الدروس في المسائل الطبية خاصة بما يتعلق بالوعظ والإرشاد وشرح الأحاديث النبوية التي لها علاقة بالجانب بالطب خاصة الوقائي.[1]

المطلب الأول: المدارس والمساجد

تشكل مؤسسات التعليم القاعدة الأساسية لاحتضان العلوم ورعايتها والمحافظة عليها وضمان استمرارها وتطورها. لذا عرفت تلمسان مجموعة من المدارس ساهمت بشكل كبير وفعال في العناية بالعلوم النقلية والعقلية من بينها الطب الذي كان يدرس بعناية فائقة، ومن المدارس التي اشتهرت بتدريسه، المدرسة اليعقوبية[2] التي أسسها السلطان أبو حمو الثاني سنة 765هـ/1363م، فقد سميت باليعقوبية نسبة إلى أبيه أبي يعقوب يوسف، ومن أبرز الذين أشرفوا على التدريس فيها الشريف التلمساني، فقد قيل عنه بأنه فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والأصول، وقد استدعاه السلطان أبو حمو من فاس إلى تلمسان وتلقاه براحتيه وأصهره في بنته، فزوجها إياه وبنى له مدرسة[3] وكذلك المشذالي الذي حل بتلمسان للدراسة في مدارسها وعلى يد علمائها أمثال ابن مرزوق الحفيد، وأبي الفضل بن الإمام، وقد أشار الحسن الوزان أن المدارس الزيانية لا تزال في زمانها تؤدي وظيفة التعليم وتتكفل بمعاشات طلابها بشكل منظم[4].[5]

1-عبد الخليل قريان، العلوم العقلية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني 633-962هـ/1554-1235م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراء في التاريخ الإسلامي، جامعة قسنطينة2، 2015، ص272.

2- ينظر إلى الملحق رقم 05، ص79.

3- عبد الخليل قريان التعليم في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص124.

4- الحسن الوزان، وصف إفريقيا، ج2، مصدر سابق، ص20 –21.

5- ينظر إلى الملحق رقم 07، ص81.

أما طريقة تدريس الطب في المدارس فكانت تختلف كثيرا عن المناهج المعتمدة في غيره من العلوم إذ تتم عملية التدريس بقراءة فقرات في كتاب معتمد في الطب، يتلوها أحد التلاميذ النجباء ثم يقوم الأستاذ الطبيب بتفسيرها وبشرحها شرحا وافيا باستخدام بعض الأدوات التوضيحية عند الحديث عن التشريح خاصة أنه كان يدرس بتلمسان بشكل أساسي بالإضافة إلى استعمال بعض الأشكال والرسومات البيانية اللازمة بعدها يفسح المجال لطرح الأسئلة والمناقشة، ثم الوصول إلى الإجابات، وقد أثبت الشريف التلمساني براعته في ترسيخه أسلوب المناقشات ومكن طلابه من تجاوز الدروس التلقينية.[1]

أما المساجد، فقد اهتم الزيانيون ببنائها باعتبارها من المؤسسات التعليمية الهامة التي كان لها دوراً فعالاً في تعليم وتثقيف المجتمع الزياني، فانتشرت في شتى الأحياء والمدن، أين مارست دورها التعليمي حتى ارتبطت ارتباط وطيداً بالتعليم، فحلَّت محل الجامعات والثانويات اليوم، وساهمت بشكل كبير في تطوير العلوم بمختلف أنواعها وأصنافها، حيث كانت تعقد حلقات دراسية داخل المسجد أو بعض الغرف الملحقة.

إضافة الى كونها مكان للعبادة، فقد كانت مقراً تُلقى فيه الدروس والمناظرات العلمية خاصة المتعلقة بالطب النبوي أين تُشرح الأحاديث المرتبطة بالطب.

1 – إبن مريم التلمساني، مصدر سابق، ص 118.

المطلب الثاني: المؤسسات الاستشفائية البيمارستانات والصيدليات

1-البيمارستانات:

ارتبط انتشار البيمارستانات والصيدليات في المغرب الإسلامي بالحواضر والمدن الكبرى ذات الكثافة السكانية العالية، وتعتبر تلمسان من أهم هذه الحواضر التي شهدت وعرفت هذه المؤسسة حيث تنوعت وظائفها بين تعليمية واستشفائية، وقد عرفت تلمسان أول بيمارستان شيد قبل عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني، وهو مارستان المنصورة، حيث بناه يوسف ابن يعقوب في مدينة المنصورة أثناء الحصار الطويل لمدينة تلمسان وجهزه بالوسائل المادية والبشرية[1] والأطباء والعلماء لصناعة الأدوية، حيث كان مجهزا بمختلف الأطباء و الممرضين و الحراس والطابخين والكُتَّاب يتقاضى كل منهم أجرا حسنا، وبه العديد من الغرف المتخصصة وهي صفة مشتركة بين جميع المارستانات[2].

ويعرف المارستان أو المشفى وهو لفظ فارسي مركب من جزئين **(بيمار)**تعني المريض و**(ستان)** تعني مكان أو موضع أو دار، أي الكلمة معناها دار المريض سمي المكان كذلك ب بأخسندوكس.[3]

وتقسم المارستانات إلى نوعين:

1-1 البيمارستان الثابت:

أي الثابت ولا يمكن تغير مكانه وهو الأكثر انتشارا في الأقطار الإسلامية وكان له نظام خاص ومنظم حيث قسم إلى قسمين منفصلين أحدهم مخصص للذكور والآخر للنساء وكان كل منهما مجهزا بما يحتاجه من أفرشة وآلات وخدم ومشرفين كما يحتوي على قاعات متخصصة، كقاعة

1 – محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في بلاد المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الاندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987، ص 47.

2- حسن الوزان، وصف افريقيا، ج1، ص 180.

3 – أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (بن جلجل)، حكماء وأطباء، تح فواد سيد أمين، دار الكتاب المصرية، مطبعة العهد للآثار المشرقية، القاهرة، ص78؛ أحمد عيسى: تاريخ المارستانات في الإسلام، هنداوي للتعليم والثقافة، 2012، ص 8.

للأمراض الباطنية، وهي بدورها مقسمة إلى أقسام، قسم للمصابين بالحمى والجنون السبعي وأمراض المعدة والأمعاء كالمتخومين من الإسهال وقاعة الجراحة وقاعة الكحالة (طب العيون) وقاعة للتجبير، وكل القاعات كانت جيدة في البناء ومساحاتها واسعة بها الماء، ولكل بيمارستان رئيس يسمى ساعور البيمارستان ولكل قسم رئيس كرئيس الباطنية ورئيس الكحالين وكانت بعض المارستانات الكبيرة تضم مدرسة يتلقى طلاب الطب فيها علومهم.[1]

وتنقسم المارستانات من حيث الوظيفة والفئة التي يقوم برعايتها إلى:

1-1-1 مارستانات مدنية:

تتركز في المدن، مخصصة لعامة الناس وتشرف عليها الدولة الزيانية وتمولها وتنفق عليها من مداخيل الأحباس الموقوفة، ومن الدكاكين وحوانيت وعقارات ومطاحن وحانات والأحباس الخاصة بالمرضى، وقد استخدمت الطرق المعروفة من المعاينة والكشف (النبض والقارورة والتي كانت حاضرة بقوة في تلمسان)، كما تصرف الدواء مجانا للمرضى،[2] وإذا لزم الأمر يبقي في المارستان حتى يشفى حيث تقدم له جميع الخدمات اللازمة.

كما كانت بيت النقاهة للمتعافين من مرض أو حادث، وملجأ للمجانين ومأوى يقدم الحاجات الأساسية للمساكين والمحرومين بالإضافة إلى ذلك فهو يستقبل ويستضيف الغرباء لمدة ثلاثة أيام ويداوي الحيوانات الجريحة ويتكفل بغسل الأموات الغرباء وكفنهم ودفنهم.[3]

1- حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، 1314هـ/1977م، ص 75.
2- عبد الخليل قريان، مرجع سابق، ص ص 281 – 287.
3- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص ص239 – 240.

1-1-2 مارستانات سلطانية:

تكون داخل البلاط السلطان الزياني حيث كان من أهم اللوازم السلطانية فقد كان سلاطين يوصون الخليفة من بعدهم بالاهتمام بالطاقم الطبي ويختارون أحسن الأطباء وأوثقهم[1] عادة ما يكونون من ذوي الكفاءات العالية ويكون مقامهم بالقرب من السلطان، يقومون برعاية صحية خاصة وتقديم النصائح والاستشارات الطبية للسلطان وحرمه وأعوانه[2]، مثل السلطان أبي حمو الثاني الذي أوصى ولي عهده باتخاذ طبيب لنفسه في قوله: **"يا بني ، واختر لنفسك طبيبا ماهرا عاقلا أديبا فاضلا ثقة محبا ناصحا، ومع هذه الصفات لا تمكنه من نفسك حتى لا يكون أعلم منك بنفسك، فإن اتخاذ الطبيب فيه قوة للقلب وراحة للنفس، وهو إن كان له من الحكمة أوضح دليل وكان كما وصفناه فهو في الحقيقة عليل، وإنما الطبيب ألة السماء فنعم الطبيب ونعم الوكيل"**[3]. وكان البلاط يحتوي على صيدلية مجهزة بمختلف الأدوية والأشربة والمعاجين الضرورية للأمراض المشهورة والمحتملة وتكاليفها تدفع من قبل السلطان.[4]

ونظرا لأهمية وخصوصية بلاط السلاطين كان يعرف حضور الطلبة المتفوقين ليستفيدوا من خبرات قدماء الأطباء، فكان بلاط السلطان الزياني أبو حمو الثاني مجلسا للعلم والتعلم فتوسعت أفاق المعرفة وازدهرت جميع العلوم، فقد كان الطلبة يستفيدون من خبرات قدماء الأطباء كما يساهمون أحيانا في إثارة المناقشات وإبداء الرأي في المعالجة والدواء فكانت تأخذ شكل الندوات والملتقيات.[5]

1- أبو حمو موسى الثاني الوياني مصدر سابق، ص43.
2- عبد الخليل قريان، مرجع سابق، ص 282.
3- أبو حمو الثاني، وساطة السلوك، مرجع سابق، ص 77.
4- أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي بن جلجل، مصدر سابق، ص113 – مدخل الى تاريخ العلوم، ج1، ص 409.
5- عبد الخليل قريان، مرجع سابق، ص 214.

1-2 مارستان محمول:

هو الذي ينتقل من مكان إلى أخر حسب الظروف الوبائية، أو الحروب والمعارك (بيمارستان عسكري) وهو عبارة عن مستشفى مجهز بجميع ما يلزم للمرضى للمداواة وهو ما يعرف اليوم بالفرنسية (ambulance) والألمانية (feldlazraeth) والانجليزية (ambulance).[1]

تكتسي البيمارستانات أهمية كبيرة، فوجودها يحدد درجة تقدم المستوى الصحي أو تأخره داخل المجتمع ويعكس مدى وعي الدولة واهتمامها بصحة السكان وسلامتهم.

ويمكن القول أنها ساهمت بشكل كبير في وجود وظهور التعليم الطبي النظامي، ودوراً كبيراً في تدريب الطلاب واستقبال أشهر الأطباء الأكفاء الذين كانوا يزاولون مهمتهم داخل المارستانات التي احتوت على كراسي لتدريس هذا العلم.[2]

2- الصيدليات:

يعد علم الصيدلة من العلوم التي ابتكرها المسلمون وأسهموا فيها بشكل كبير وهي تختص بصناعة الأدوية، أنشؤوا لها المدارس لتعليمها والحوانيت والدكاكين لبيع الأدوية.

وقد عُرفت الصيدليات بعدة أسماء منها:

الصيدنة: وهي معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها، وخلط المركبات من الأدوية.[3]

كما يمكن تعريفها بأنها علم يختص في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها.[4]

1- أحمد عيسى، مرجع سابق، ص 11.

2- عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ، ص119.

3 - ابن خلدون، مصدر سابق، ص 466.

4 - الموجز في تاريخ الطب و الصيدلة عند العرب، ج2، ص 271.

وعُرفت كذلك باسم **أقراباذين:** وهي كلمة ذات أصل يوناني، ومعناها تركيب الأدوية المفردة وقوانينها فهي علم وفن صناعة الأدوية[1]، يبحث في أصول الأدوية سواء كانت على أخذ صورها واختيار الأجود من أنواعها مفردة أو مركبة.

أما التي جاورت البيمارستانات، فأطلق عليها اسم شراب خان أو خزانة الأدوية، تحتوي على جميع أنواع الأدوية والشربات والمعاجين والمُرَبَّيات يشرف عليها صيدلي مسؤول يقوم بتركيب الأدوية ويصرف الوصفات التي يصفها الأطباء الذين يفحصون المرضى ويعالجونهم.[2]

في البدايات الأولى، ارتبط علم الصيدلة بالطب ارتباطا وثيقا، فالصيدلي هو الطبيب إذ يقوم بعملية تشخيص المرض ثم يشرف بنفسه على عملية تحضير وتصنيع وتركيب الدواء الذي وصفه للمريض ثم يقدمه له[3]، ولكن لما كثرت العقاقير التي تعني أصول النباتات وتشعبت طرق تركيبها أصبح من الضروري فصلها وتفرغ وتكريس الوقت والجهد لها ومنه انقسمت المهمة الى قسمين الطبيب والصيدلي.[4]

وقد عرفت تلمسان بعض الصيدليات التي يملكها الأطباء بسوق العطارين التي تباع فيها المواد المتعلقة بالعطارة والطب والتي هيئها الأطباء والحكماء في منازلهم وتباع للمرضى مقابل وصفة طبية.[5]

ومن عوامل وأسباب تقدم الصيدلة في بلاد المغرب عموما وتلمسان خصوصا، هو توفر البيئة على أصناف وأنواع عديدة من النباتات الطبيعية المستعملة في تركيب الأدوية منها[6]: شجرة الحضض،

1- جورج شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلة و العقاقير في العهد القديم والوسيط، مؤسسة الهنداوي، 1959، ص 12.

2 - عبد الكريم شحاته، صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي، أكاديميا بيروت، لبنان، 2005.

3- جورج شحاتة قنواتي، مرجع سابق، ص 10.

4 - حكمت نجيب عبد الرحمن، مرجع سابق، ص 339.

5 - عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 119.

6- رزيوي زينب: العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدي بلعباس 2016/11/22. السنة الدراسية 1436-1437/2015-2016م، ص 327.

القولوفندوريون، القنطوريون، الزوارند، الفنتيس. وقد ساعد وجودها على ازدهار الطب وخاصة الطب الشعبي.[1]

1- خالد حموم: بجاية في العصر الوسيط دارسة في أحوالها الاقتصادية من القرن 5-10هـ/16-11م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17 ،2022، ص701.

المبحث الثاني: الأطباء ومؤلفاتهم

المطلب الأول: الأطباء

1-تعريف الطبيب:

يطلق لفظ الطبيب على: **"جمع أطبة وأطباء، مَن حِرفته الطبّ أو الطِّبابة، وهو الذي يعالج المرضى ونحوهم، والعالم بالطبّ هو الحاذق الماهر، والرفيق اللّبق."**

وجاء في لسان العرب لفظ الطبيب معناه "رجل طب، وطبي عالم بالطب والطبيب الرفيق، والطبيب الحاذق من الرجال، الماهر بعلمه".

والطبيب في الأصل: الحاذق بالأمور، العارف بها، وبه سُمّي الطبيب الذي يعالج المرض.

ويذكر الزبّيدي أن كل حاذق بعلمه هو طبيب، والطبيب في إصلاح البدن هو مترلة الحكم بين الخصوم.

والطبيب عند الصوفية: هو الشيخ الذي يكون عارف بعلم التوحيد، وقادر على إرشاد وتكميل المريدين، كذا في كشف اللغات، والطبيب في اصطلاحهم عبارة عن الشيخ العارف.

الطب والطبيب في اصطلاحهم عبارة عن الشيخ العارف بالطب الروحاني، القادر على تكميل الناس، فالطبيب هو من يعرف ما يضر بالإنسان جمعه، أو يجمع فيه ما يضرّه تفرقة أو ينقص منه ما يضرّه زيادته، أو يزيد ما يضره زيادته، أو يزيد فيه ما يضره نقصه، فيجلب الصحة المفقودة، أو يحفظها بالشكل والشبه.[1]

1- سلمى ماضوي ، المرجع سابق، ص ص 11 – 12.

1-2 صفاته وشروط اختياره:

ولأن الطب ذو أهمية كبيرة وعظيمة، فكان من البديهي أن تقع على الطبيب مهمة شاقة، وهذه المهمة هي مداواة لكل من يقع في هاوية المرض. لذلك وضعت ضوابط وشروط يجب توافرها في الطبيب ويتطلبها علم الطب كونه مهنة إنسانية عظيمة الشأن. فقد ذكر مؤلفو علم الطب والمبدعون من الأطباء الصفات التي ينبغي لطالب الطب أن يتحلى بها لكي يكون مؤهلا لممارسة هذه المهنة ومنها صفات علمية وأخلاقية وخَلقية، وفي رأي الحكماء أن هذه الصفات إذا اجتمعت في متعلم الطب يصبح طبيبا ناجحا نافعا.[1]

وهناك صفات وأخلاقيات يجب أن يتحلى بها الطبيب وهي:

1. أن يكون ذا خلق يتمتع بالذكاء، خَيِّر الطبعِ، حسن الملبسِ، ذا رائحة طيبة.
2. أن يكون محافظا على سر المرضى ولا يبوح بأمراضهم.
3. أن يكون حريصا على التعليم ونفع الناس، ومحافظته على هاته الصناعة.[2]
4. أن يكون عقل الطبيب حاضرا في معالجة المريض، وألا يكون متهورا.
5. ينبغي للطبيب أن يعالج الفقراء قبل الأغنياء.
6. توكل الطبيب على الله والانتهاء عن العُجب والتكبر.[3]

1- نهاد نعمة، مجيد حسن الشمري، مرجع سابق، ص62.

2- عبد الكريم شحادة، صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي، إنترناشيونال للنشر والطباعة، بيروت، 2005، ص167.

3- أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، تق وتح عبد اللطيف محمد العيد، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1977، ص ص 27،69.

2-أهم الأطباء:

ضمت تلمسان بين أحضانها مجموعة الأطباء، ذاع صيتهم كان لهم دور بارز في تطوير العلوم الطبية ممارسة أو تدريسا نذكر على سبيل المثال:

1) محمد أبي جمعة بن علي التلاليسي أبوعبد الله: (ت 767هـ / 1365م):

من أهل تلمسان وهو شاعر وأديب وطبيب بارع وجراح ممتاز، قام بعملية جراحية لأمعاء السلطان أبي يعقوب المريني وأخاط جرحه الذي أصابه في بطنه أثناء حصاره للمنصورة[1] أين أثبت براعته، فقربه السلطان أبو حمو موسى الثاني (760-721هـ) واتخذه طبيبا لنفسه. له مقاصد في المديح والوصف والرثاء وموشحات جيدة،[2] وعند وفاته دفن بالقرب من باب كشوط الذي يخرج منه للمنصورة.[3]

2) موشي بن صمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الأندلسي اليهودي المتطبب:

كان من أصل يهودي ومن أسرة يهودية في الأندلس، ولد في مدينة مالقة قبل عام (820 هـ/1418م)، تعلم موشي الطب عن طريق والده، وأصبح معروفًا بمهاراته ومعرفته الواسعة في مجاله.

انتقل موشي بن الأشقر إلى مدينة تلمسان واستقر فيها، حيث بدأ مسيرته التعليمية في الطب، وأصبحت شهرته تتسع داخل تلمسان وخارجها، فكان الطبيب الخاص للبلاط الزياني ومقربًا من أمراء هذه الدولة. بفضل خبرته ومهارته، صار مرجعًا طبيًا موثوقًا به ومحل تقدير واحترام في المجتمع.

1- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ج1، ص 248؛ محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في السياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص 208

2- عادل نويهض، مرجع سابق، ص 62.

3- قاسمي بختاوي، مرجع سابق، ص 125.

تميز موشي بن الأشقر بمهاراته العالية في ممارسة الطب، وكان يعتبر طبيبًا حاذقًا وماهرًا. قدم خدماته الطبية للبلاط الزياني وتعامل مع حالات مختلفة ومعقدة. بفضل سمعته الطيبة وكفاءته، أصبح طبيبًا مرموقًا ومحترمًا في المجتمع، وكان له تأثير كبير في تطور الممارسات الطبية في تلك الفترة، تاركاً بصمة قوية في تاريخ الطب، استمر في إثراء المعرفة الطبية وتدريسها للأجيال القادمة، حيث أسهم في نشر المعرفة وتطوير الممارسات الطبية في تلمسان والمناطق المجاورة.[1]

وقد قال عنه الرحالة عبد الباسط بن خليل: **"عندما لقيته بتلمسان سنة 869هـ/1464م ولازمت في الطب الرئيس الفاضل الماهر و لم أسمع بذمي ولا رأيت كمثله في مهارته في هذا العلم الوفق والميقات وبعض العلوم مع الشعب الزائد في دينه على ما يزعمه و يعتقده[2]"** و قال عنه: **"وبلغني عنه في هذه الأيام بأنه انتهت إليه الرياسة في الطب وهو مقرن ومختص بصاحبها[3]"**

3) محمد بن محمد بن أبي القاسم المشذالي: (ت 866هـ / 1461م):

هو محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن عبد الصمد بن حسن بن عبد المحسن المشذالي البجائي، المكنى بأبي الفضل، ولد سنة 821 هـ/1416م، نبغ في علوم شتى منها الطب، ولد ببجاية، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، أخذ العلوم عن أبيه وأخيه وغيرهم من الشيوخ بمسقط رأسه، قبل أن يهاجر إلى تلمسان سنة 480هـ، لينهل الكثير من علمائها ومشائخها، فأخذ عن ابن مرزوق الحفيد في التفسير والحديث والفقه والأصول والأدب والمنطق والجدل والفلسفيات والطب والهندسة[4]، كما درس الطب أيضا على يد محمد بن علي فشوش التلمساني[5]، حتى أصبح

1- نقلا عن: عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 248.

2- زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981، ص 175.

3- عبد الجليل قريان، مرجع سابق، ص 249.

4- السخاوي، الضوء اللامع، ج9، ص 180.

5- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق ص250 ؛ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1998، ص 113.

من الذين يُشار إليهم في ذلك العصر في مهنة الطب **"وحيد عصره وفريد ظهره"**، وكان الناس يلجؤون إليه طلبا للدواء،[1] وقد نال حظه من العلوم العقلية والنقلية فاتسعت معارفه حتى قال فيه القلصادي: **" لم أر مثله في تحصيل العلوم وتحقيقها، فأخذ من كل علم وافر بأوفر نصيب"**[2]، رغم ذلك لم يترك المشذالي مؤلفا في الطب.[3]

4) على بن ثابت التلمساني: (ت 742 - 829 هـ)

على بن ثابت بن علي بن محمد القريشي الأموي التلمساني، وُلد في العام 742 هـ وتوفي في 829هـ. يُعرف هذا الرجل بمساهماته العظيمة في العلوم الدينية، التاريخ، والطب.

كان فقيهاً مالكياً بارعاً، وقد امتد تأثيره العقائدي والفكري إلى جانب اهتمامه بالطب.

وقد أُلِّفت تحت قلمه ما يقارب الثمانية والعشرين عملاً، وهي تعد انعكاساً لتنوع مجالات معرفته ومهاراته، التي تغطي موضوعات دينية وتاريخية، بالإضافة إلى علم الطب.

كما أنه طور معرفته بالطب على يد الإمام ابن مرزوق الحفيد، الذي شكل مرجعية مهمة بالنسبة له في هذا المجال.

تميز على بن ثابت بمهارات طبية رفيعة، وخاصة في مجال معالجة المرضى وصناعة الأدوية، حيث تناقل الناس سمعته الطيبة في هذا المجال، مما جعله معروفًا في أنحاء المشرق الإسلامي كطبيب بارع وموثوق.

---

1 - القلصادي، مصدر سابق، ص 127.

2- التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 1036-963، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج2-1، طرابلس، ص 542.

3- القلصادي، مصدر سابق، ص 127.

كانت حياته مثالاً حياً على التفاني في الخدمة العلمية والطبية، وتعكس كتاباته التزامًا راسخًا بالأخلاق العالية والمعرفة العميقة. كما أنه يعد أحد الشخصيات التاريخية التي أسهمت بشكل ملحوظ في تطور الفكر الإسلامي والطب في ذلك العصر.[1]

5) إبراهيم عنقاوة (ت888هـ/1442م):

كان يهودياً أندلسياً متميزاً، هاجر من طُليطلة في الأندلس إلى المغرب، ثم تابع رحلته إلى وهران وأخيراً استقر في تلمسان.

في تلمسان، اكتسب عنقاوة شهرة واسعة وأصبح أحد القادة والأقطاب المعترف بهم في الجالية اليهودية هناك، حتى أن قبره أصبح مزاراً مقدساً تقصده الجالية اليهودية.

توفي إبراهيم عنقاوة في عام (888هـ/1442م)، فقد كان علما في التعاليم اليهودية، التي ورثها عن والده، وكان يتمتع بمعرفة عميقة بالعلوم الطبية، هذه المعرفة جعلته طبيباً بارعاً.

من الجدير بالذكر أنه حظي بفرصة للتميز والتألق عندما كانت بنت السلطان الزياني أبي العباس أحمد العاقل (834-866 هـ) مريضة وكان الأطباء قد عجزوا عن علاجها، فأعلن السلطان جائزة لأي شخص يستطيع مداواتها، واستطاع عنقاوة مداواتها حتى أشفيت من مرضها، ما زاد من شهرته وسمعته في المجتمع.[2]

6) أبو إسحاق إبراهيم بن محمد التلمساني الثغري الطبيب: (ق 8هـ/ 14م)

لا توجد ترجمة وافية لإبراهيم بن أحمد الثغري غير ما أورده بعض المتأخرين من أمثال الدكتور أبي القاسم سعد الله.

1- عادل نويهض، مرجع سابق، ص.ص 71- 72.

2- Darmon, Origine et Constitution de la Communité Israélite à Tlemcen, Revue Africaine, V14, 1870, PP 367-383.

هو طبيب وصيدلاني ولد في القرن 8هـ/14م، وكان معاصرا لابن خلدون، ولد بتلمسان ومارس مهنته بها، كذلك عاصر فترة السلطان أبو عبد الله محمد أبي حمو، من تلاميذ أبي عبد الله الشريف التلمساني،[1] له عدة مؤلفات في الطب، تميز عصره بالنشاط العلمي في باب العلوم الطبيعية والعلوم العقلية، وهو ما ظهر في النشاط الزراعي والصيدلي.[2]

7) صالح محمد بن يوسف السنوسي: (ت 895 هـ/ 1489 م)

كان شخصية بارزة في عصره، معروفًا بزهده وفقهه، بالإضافة إلى دراسته للعلوم الطبية. وقد تميز بتوجهه الفريد في ربط العلوم الطبية بالدين، إذ اعتبر أن هذين المجالين متكاملين ويكملان بعضهما البعض، وهو الأمر الذي ينبع من فهمه العميق للإسلام والعقيدة ومنهجه الشامل في تطبيق العلوم. وكان ينظر إلى الطب كمعرفة متكاملة تقف على قدم المساواة مع المعارف الأخرى.[3]

اعتبر ابن السنوسي الطب جزءاً مهماً من العلوم، فقد اعتمد في ذلك على الحديث النبوي الشريف الذي يقول: "العلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان"[4]. ومن خلال هذا، أكد على الأهمية الحاسمة للطب كجزء من العلوم الإنسانية التي تهدف إلى تحسين حياة الإنسان ورفاهيته.

تضمنت فلسفته أن العلم الطبي، بالإضافة إلى كونه علمًا عمليًا لعلاج الأمراض وتحسين الصحة، يتضمن أيضًا جانبًا أخلاقيًا وروحيًا، حيث يتعامل الطبيب مع المرضى بالرأفة والاحترام، ويستخدم المعرفة لخدمة الإنسانية. تُعد فلسفته هذه رائدة في زمانه وتعكس التزامه العميق بالأخلاق والقيم الإسلامية.

1- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق ص 249 – أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 249.
2- إبراهيم الثغري، مصدر سابق، ص 133.
3- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 250.
4- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 113.

8) محمد بن علي بن فشوش:

هو واحد من الأطباء المرموقين في تلمسان الذين اشتهروا بمهارتهم وكفاءتهم العالية في مجال الطب. تلقى تعليمه الطبي في مدارس تلمسان الرائدة، حيث طور مهاراته ومعرفته بالعلوم الطبية، كان مشهوراً بتفانيه في مهنته ودقته في العمل، وقد كسب سمعة طيبة بفضل حِرفيته وقدرته على التعامل مع مختلف الحالات الطبية، مما ساعده على تعزيز تأثيره ومكانته كطبيب مرموق وأستاذ موقر في مجتمعه.

من بين أبرز تلاميذه العالم المصري الرحالة عبد الباسط بن الخليل، الذي زار تلمسان للاستفادة من خبرات ومعرفة أطبائها وعلمائها. حضر بن الخليل العديد من دروسه، وقد استفاد بشكل كبير من معرفته وخبرته في الطب. وقد قام بنقل معارفه وتجاربه التي اكتسبها إلى مصر، مما ساهم في نشر العلم والمعرفة.

لذا، يعد محمد بن علي بن فشوش رمزًا بارزًا في التاريخ الطبي لتلمسان، حيث أسهم بشكل فعال في تعليم الأجيال القادمة من الأطباء ونقل معرفته الطبية وخبرته للعديد من الطلاب الذين جاءوا من أماكن بعيدة للتعلم منه.[1]

9) لسان الدين بن الخطيب (ت 667هـ/1374م):

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني، نسبة إلى منطقة سلمان باليمن، قدم أهله إلى الأندلس عقب الفتح الإسلامي، ولد لسان الدين بلوشة غرب غرناطة سنة 713هـ/1313م، نهل من علمائها في فنون اللغة والأدب والطب، والفقه، والأصول، وغيرها. دخل مجال السياسة وعرف بذي الوزارتين، بعد أن ولاه السلطان المريني أبي عنان فراس الكتابة الوزارية. عاش بتلمسان قبل فراره إلى فاس 760هـ/1358م إثر خلع السلطان أبي عنان،

1- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 249.

اتهم في آخر حياته بالبدعة والإلحاد والزندقة من قبل خصومه السياسيين، فحوكم وقتل سنة 776هـ/1374م.

وخلَّف ابن الخطيب كماً هائلاً من المؤلفات ضاع منها الكثير أثناء نكبته.[1]

10) أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن الإمام (ت 845ه/1443م):

هو العلامة الحُجة النظار، صدر البلغاء، وتاج العارفين، وأعجوبة الزمان؛ أحد أقران ابن مرزوق الحفيد. درس بتلمسان، وتمكن في علوم البيان والتصوف والطّب والآداب، وقد أثنى عليه كلّ من التنسي والسخاوي والمقريزي. نقل عنه الونشريسي كثيرا في معياره. توفي سنة 845هـ.[2]

11) ابن أبي حجلة (776 – 725هـ):

هو شهاب الدين أبو العباس بن يحي بن أبي بكر بن عبد الواحد التلمساني. ولد بتلمسان سنة 725هـ/1325م، ومات بالقاهرة بوباء الطاعون سنة 776هـ/1375م. درس الأدب والحديث والفقه والشعر الصوفي. له مؤلفات عديدة منها: ديوان الصبابة، و"الطب المسنون في دفع الطاعون"، وغرائب العجائب وعجائب الغرائب، ومغناطيس الدر النفيس.[3]

12) داود عبد الله البغدادي التلمساني:

طبيب ماهر، تميز بمعارفه الطبية العظيمة، عاش ما بين القرنين 9-10 هـ، عُرف عنه أنه كان ضريرا.[4]

1- لسان الدين بن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح ودر محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص ص 34-35.

2- إبن مريم، مصر سابق، ص.ص، 220-221؛ عادل نويهض، مرجع سابق، ص.ص، 74-75.

3- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1906، ص 42، عادل نويهض، المرجع السابق، ص ص، 365 – 366.

4- عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب في العصر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2014، ص 124.

13) أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم تلمساني:

تحدث عنه إبن مرزوق في كتاباته السابقة، ووصفه بأنه "تلمساني متميز في الطب والخطابة، وكان أيضًا يؤم الناس في الصلاة. حظي بتقدير السلطان أبو تاشفين الأول[1]، الذي استدعاه ليكون طبيبه الخاص"[2]. وكان له حادثة مع السلطان أبو تاشفين، غير أن التفاصيل الدقيقة لهذه الحادثة لم ترد في النص. على الرغم من الصعوبات التي واجهها، استمر أبو القاسم في الالتزام بدوره كطبيب وخطيب.

14) محمد بن أحمد السعيد العقباني (ت 871هـ - 1467م)

ولد بتلمسان وأخذ عن مشايخها وكانت له مشاركات في الأدب من أهم مؤلفاته «تحفة الناظر وغُنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر"، تطرق فيه إلى حل مشكلات الاخلاق في الطب ومعرفة الأدوية وهو خير هذا الحال، فيجرب في أجسام البشر دون علم مما يتسبب في إتلاف بعض الأعضاء الحساسة كالسمع والبصر أو ربما يأتي على نفوس بريئة.[3]

15) أبو عبد الله المالقي المتطبب (ت 845 هـ / 1441 م):

عاصر الفقيه الأبلي الإمام المقري الجد.

1- أبو تاشفين الأول: هو عبد الرحمان الأول أبي حمو موسى الأول ابن أبي سعيد عثمان الأول بني يغمراسن، خامس ملوك الدولة الزيانية بتلمسان، عرف بحبه للفنون ولا سيما فن المعمار، وهو أكثر الملوك آثارا وعمرانا، ينظر عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر النهضة، ط2، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980، ص56.

2- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 248.

3 - السعيد العقباني: تحفة الناظر وغُنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، 1967، ص 83.

المطلب الثاني: أهم المؤلفات الطبية

كانت تلمسان مقصداً لدراسة العلوم العقلية، ولكن فيما يتعلق بالتأليف فهناك قلة خاصة في المجال الطبي إذا ما قارناه بإنتاج العلوم النقلية والعقلية الأخرى،[1] وما يوجد إلا اجتهادات شخصية من طرف بعض الأطباء والعلماء، ويعود السبب في ذلك إلى عدة أسباب أهمها:

- هيمنة المؤلفات الطبية المشرقية والأندلسية والتي عرفت بغزارة مادتها العلمية وكذلك قوة طرحها ومعالجتها للمواضيع وشموليتها للمفردات الطبية ونذكر أمثلة عن ذلك **كتاب القانون في الطب والأرجوزة الطبية لابن سينا** وكتاب **الحاوي للرازي والتصريف للزهراوي والتيسير لابن زهر.**
- جل الأطباء اكتفوا بالاقتباس دون التجديد والتجربة، إلا في بعض الحالات وفي بعض الرسائل التي حاول المغاربة من خلالها الاستجابة لحالات الطوارئ والأوبئة والمجاعات.[2]
- الاكتفاء بالحفظ والنقل حيث كانت حاجزاً في عملية الإبداع والتجديد لأن الهدف الأساسي كان استعراض القدرات العقلية ليس إلا.
- كذلك تفشي ظاهرة المداواة بين الدجالين والمشعوذين، حيث اختلط الحابل بالنابل وتراجعت القيم العلمية، خاصة في النصف الثاني من القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي،[3] لكن يمكن الوقوف على بعض المؤلفات طبية الزيانية منها:

1- معجم الطب والأدوية لإبراهيم أحمد التلمساني الثغري:

معجم من تسع صفحات رتَّبه على ترتيب حروف المعجم، وهو عبارة عن قائمة بأسماء الأعشاب الطبية ونحوها مما يتداوى به في ذلك العصر. بالإضافة إلى معلومات شخصية عن الأدوية الشائعة من التطبيب في عصره، وصفات من تجاربه الخاصة كطبيب، فكان كل ما يذكر الداء يذكر

1- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 105 ؛ عبد الجليلي قريان، مرجع سابق، ص 332 -339

2- محمد العيد زكري، مرجع سابق، ص 357 – 358.

3- المرجع نفسه، ص 361.

معه الدواء ومنافعه، معتمدا في ذلك على مواد طبيعية محلية مثل: العسل، الزيت، الزنجبيل، القرنفل، الفلفل، الزبيب، القرفة وعرق السوس ... كما تعرض الرسالة لبعض الطرق الكيماوية التي وجب توفرها في تحضير وإعداد بعض الأدوية مثل العجن، الخلط، السحق، الطبخ وأواني وطواجن.[1]

2- رسالة في الطب:

هو مؤلف أخر للثغري يتناول الأدوية ومنافعها، ولا يُعلم إن كانت متصلة أو مكملة للمعجم الذي تطرقنا له سابقا.

استهل رسالته بورقة تشبه عنوان **الأدوية النافعة من برد الدماغ** وهي مشتملة على أضمده وأدهان وغيرها. أما ما تبقى فقسمها إلى أبواب بعناوين مختلفة منها **باب الاكتحال** (من يكتحل بالأنسيون، ينفع من السلا المتقادم)، باب **المعاجين** (خاصة معجون الجزر وفوائده) **وباب الأشربة وباب سفوف ينفع من التخمة.**[2]

كما تطرقت الرسالة إلى أشكال صيدلانية مختلفة مثل الأشربة، المعاجين، الأدهان، الاضمدة. بالإضافة إلى كيفية أخد الدواء وطريقة استعماله والأوقات والمقادير المحددة التي وجب على المريض الالتزام بها.

وأشارت الرسالة إلى طب الأطفال خاصة فيما يتعلق ب**برد الدماغ**[3] وأمراض الأسنان وأمراض العين والأذن والأنف والفم وأوجاع الصدر والمعدة وأسماء أدويتهم.[4]

1- محمد العيد زكري، مرجع سابق، ص 348.

2- ابو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص 112-113.

3- مرض برد الدماغ: هو مرض يتسبب فيه المناخ البارد الذي تميزت به مدينة تلمسان وما يحيط بها، وخاصة في فصل الشتاء مما يسبب خطراً على جسم الإنسان خاصة الدماغ، عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 249.

4- عبد العزيز فيلالي، مرجع سابق، ص 249.

من خلال هذا نلاحظ أن هناك وعي طبي لدى الثغري خاصة فيما يخص أهمية التزاوج بين الأدوية والأغذية المناسبة للمرض والحمية الواجب إتباعها.

3- شرح حديث "المعدة بيت الداء الحمية رأس الدواء" و"أصل كل داء البردة" لمحمد يوسف السنوسي:

حيث شرح شرحا وافيا كل ما يتعلق بالمعدة دخولا وخروجا، فالمعدة بيت الداء، فهي أصل المرض وأصل الشفاء، فإذا ما حفظ عليها قوي الجسم والصحة، وانطلاقا من تجاربه كان يذكر المرض تم يصف الدواء ويؤكد على أهمية الحمية وفوائد الأشربة والأغذية والمقادير اللازمة التي يحتاجها جسم الإنسان.[1]

ويمكن القول إن هذه الرسالة يمكن إدراجها ضمن الطب الوقائي، وهو ما رسخ في الثقافة الصحية الوقائية في تلمسان في العهد الزياني.

4- فوائد ومجربات الطب:

من مؤلفات السنوسي تناول فيه خليطا من الأدعية والأوراد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بأشكال متنوعة ومختلفة عالج عدة هواجس لأمراض كانت تشغل بال المجتمع الزياني مثل عرق النسا الذي أعطته الرسالة مساحة واسعة من الأدعية والكي. ومنها ما كانت مشاكل الحب والظلم ...

وقد اختلف الكثير في نسب هذا الكتاب للسنوسي نظرا لما يحتويه من طلاسم ومظاهر الشعوذة والشرك وقراءة الغيب إذا ما قارنه بالقضايا العقائدية التي طرحها في شرحه للعقيدة الكبرى أما أبو القاسم سعد الله فقد نسب الكتاب إلى السنوسي[2].

1- عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط، مرجع سابق، ص 123 – 124.
2- محمد العيد زكري، مرجع سابق، ص351.

بالإضافة إلى ذلك فإن للسنوسي مؤلفات أخرى نذكر على سبيل المثال: **مقدمات وفوائد** الذي يتكون من 144 ورقة في الطب. وشروح أرجوزة ابن سينا والتي تأكد المراجع انه لم يكملها، ولا شك في شرحها لم يخرج عما هو معروف مثل شرح ابن رشد وغيره[1].

5- كتاب الانتباه في معالجة الباه:

مؤلف ألف صفحة لمرزوق الخطيب الذي برع في الطب والرواية.[2]

6- كتابا في الطب: لعلي بن ثابت بن سعيد التلمساني.

7- الطب المسنون في دفع الطاعون: لأحمد إبن يحيى إبن يحيى إبن أبي حجلة الذي ألف ثمانين مؤلفا في الطب.

نلاحظ أن أطباء تلمسان الذين برزوا كانوا موسوعيين حيث سعوا إلى تطوير العلم الطبية.

1 عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، مرجع سابق، ج1، ص 243.

2- محمد العيد زكري، مرجع سابق، ص 343.

خاتمة

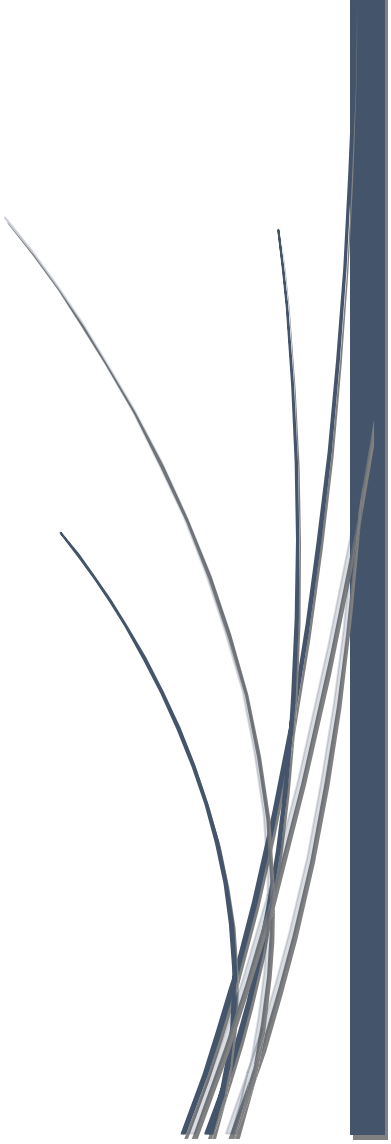

خاتمة

عالجت هذه الدراسة الطب والأوضاع الصحية في تلمسان الزيانية، من خلالها توصلنا الى مجموعة من النتائج نلخصها ضمن النقاط التالية:

– شهدت تلمسان في العهد الزياني تطورا علميا وحضاريا كبيرا، حيث ازدهرت العلوم العقلية بمختلف أصنافها وأنواعها لا سيما العلوم الطبية التي نالت الحظ الوافر من الرعاية والاهتمام. خاصة من طرف سلاطين الدولة الذين بذلوا كل المجهودات ووفروا وجندوا كل الامكانيات لتطويرها.

– عرفت تلمسان الزيانية عدة المجاعات وأوبئة شكلت خطرا حقيقيا على حياة السكان، فأدت إلى ظهور أمراض فتاكة حصدت الكثير من الأرواح، فتدهورت الأوضاع الصحية في تلمسان، حيث تعددت وتنوعت أسبابها منها ما هو بشري، فكان الإنسان سببا مباشرا فيها مثل الحروب والفتن الداخلية والحصارات العسكرية مع جيرانها ومنها من فرضته الطبيعة يراجع بالدرجة الأولى إلى المناخ مثل الجفاف والأعاصير والعواصف القوية. والسيول الجارفة. ورغم هذا، فقد كان للسلطة الحاكمة عدة جهود للتقليل من حدة المجاعات وتجلى ذلك في بناء مراكز لمعالجة المرضى.

– حظيت تلمسان بأحسن الأطباء والصيادلة الذين وضعوا لمساهم وأسهموا ولو بالقليل في تطوير المنظومة الطبية الزيانية، من خلال تنويع أساليب وأدوية وطرق العلاج التي اعتمدوها. وحالوا تطويرها رغم توجه الكثير منهم الى الطب الطبيعي والتداوي بالأعشاب التي وفرتها البيئة التلمسانية ومنهم من توجه الى الطب الوقائي تجنبا للوقوع في المرض، من جهة أخرى هناك من اتجه للسحر والشعوذة.

– أما فيما يخص المؤسسات الاستشفائية خاصة البيمارستانات والتعليمية مثل المدارس والمساجد فهناك قلة في المعلومات حيث أغفلت المصادر التاريخية عنها و لم توفها حقها، رغم دورها العلاجي الفعال في رعاية ومداواة المرضى وتوفير الدواء لهم. وكذا دورها التعليمي البارز حيث احتوت على

كراسي للتعليم في المدارس والبيمارستانات، مثل المعاهد والجامعات اليوم المتخصصة في تدريس الطب، كما أنها كانت ملجأ للفقراء والمساكين.

– أما بالنسبة للمؤلفات الطبية فقد اعتمد الأطباء الزيانيون في بادئ الأمر على المؤلفات المشرقية، ثم انفردوا برصيد من معاجم أو رسائل ضمت في طياتها طرق العلاج وأهم الأدوية التي استخدموها في ذلك.

الملاحق

الملحق رقم 01

خريطة توضح الموقع الجغرافي لتلمسان.[1]

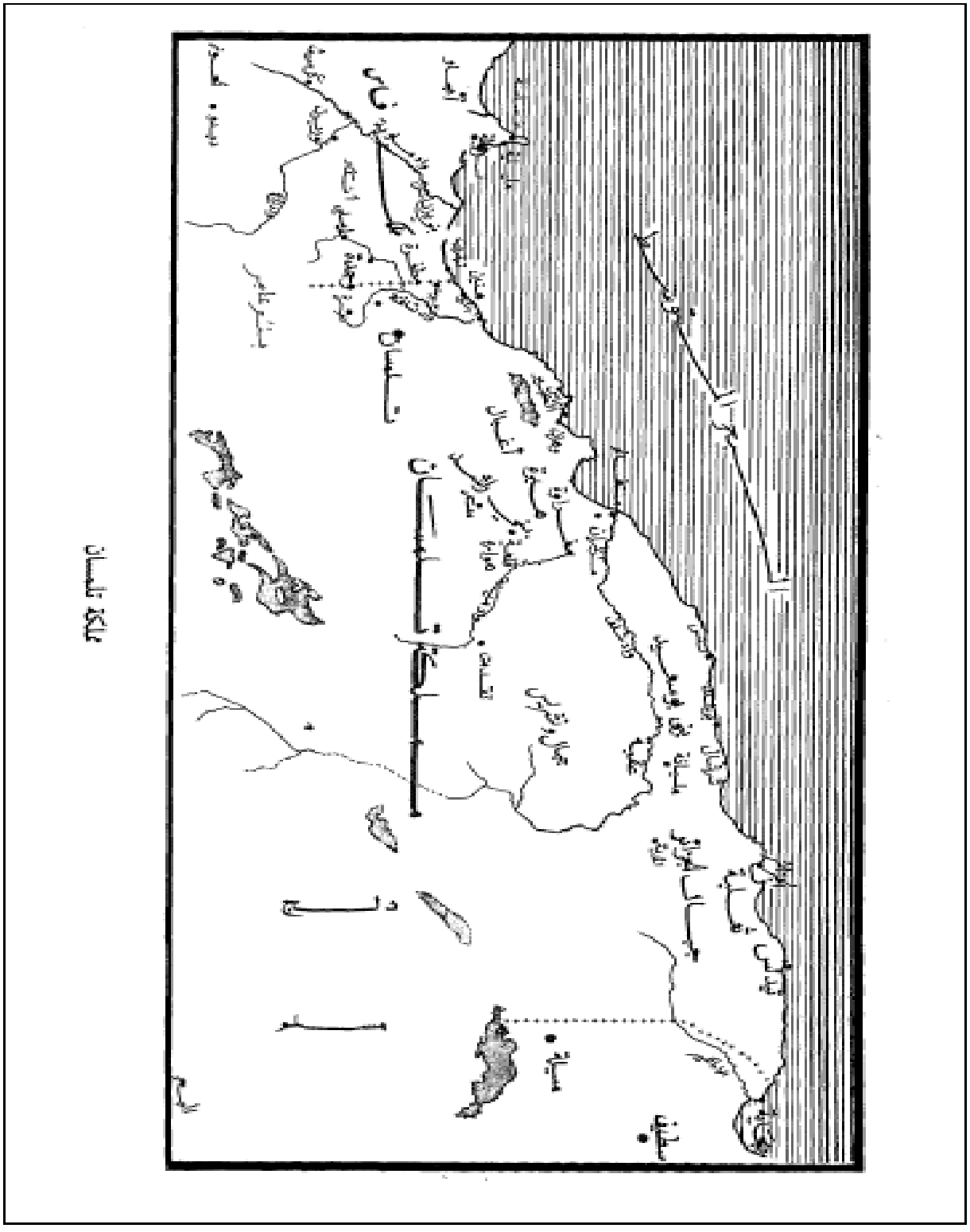

1- حسن الوزان: وصف إفريقيا، مرجع سابق، ص6.

الملحق رقم 02

السلاطين الذين تعاقبوا على حكم الدولة الزيانية.[1]

/	السلاطين	فترة الحكم
01	يغمراسن بن زيان	633- 681 هـ
02	أبو سعيد عثمان الأول	681 – 703 هـ
03	أبو زيان محمد الأول	703 – 703 هـ
04	أبو حمو موسى الأول	707 – 718 هـ
05	أبو تاشفين عبد الرحمن الأول	718 – 737هـ
06	أبو سعيد عثمان الثاني وأخوه أبو ثابت	749 – 670 هـ
07	أبو حمو موسى الثاني	760 – 791 هـ
08	ابو تاشفين الثاني	791 – 795 هـ
09	أبو ثابت يوسف	795 – 795 هـ
10	أبو الحجاج يوسف	795 – 796هـ
11	أبو زيان محمد الثاني	796 – 801 هـ
12	ابو محمد عبد الله الأول	801 – 804 هـ
13	أبو عبد الله محمد ابن الخولة	804 – 813 هـ
14	عبد الرحمن بن محمد	813 – 814 هـ
15	سعيد بن أبو حمو	814 – 814 هـ
16	أبو مالك عبد الواحد	814 – 827 هـ
17	أبو عبد الله محمد بن الأحمر	827 – 831 هـ
18	أبو مالك عبد الواحد	831 – 833 هـ
19	أبو عبد الله محمد بن الأحمر	833- 834 هـ
20	أبو العباس أحمد العاقل	834 – 866 هـ
21	أبو ثابت محمد المتوكل	866 – 873 هـ

1- عمار عمورة، مرجع سابق، ص 84.

الملحق رقم 03

علاج الأسنان.[1]

1- عبد الرزاق أحمد، مرجع سابق، ص164.

الملحق رقم 04

صور تمثل بعض النباتات الطبية.[1]

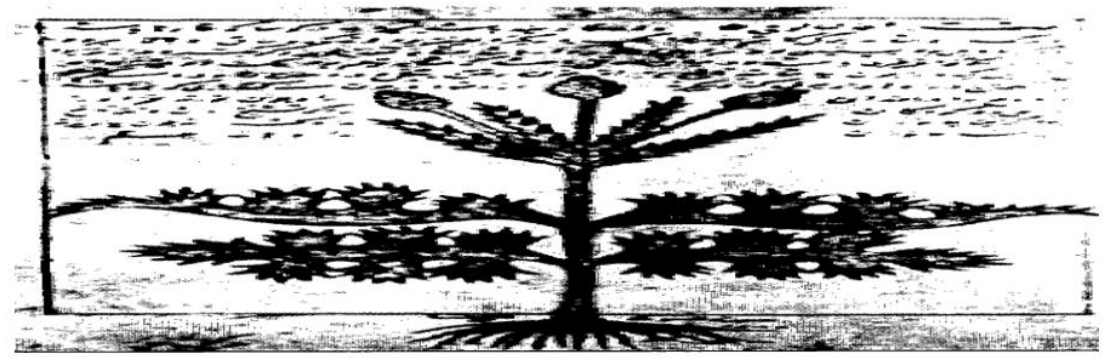

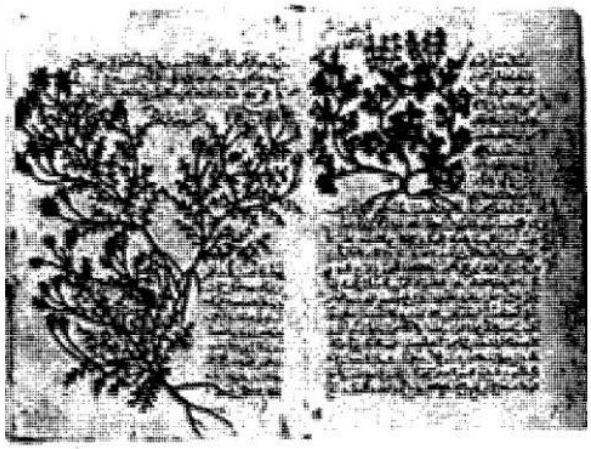

1- السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحارة الإسلامية، مؤسسة إقرأ، ط1، القاهرة، 2009، ص.ص 115 126 128 214 217.

الملحق رقم 05

مخطط يوضح موقع المدرسة اليعقوبية.[1]

1- 8. فايزة بوخضار: مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 75.

الملحق رقم 06

أطباء التفوا حول مريض يتشاورون في أمره.[1]

1- عبد الرزاق أحمد، مرجع سابق، ص 177.

الملحق رقم 07

درس في الطب.[1]

1- شحادة عبد الكريم، مرجع سابق، ص150.

الملحق رقم 08

العلاج بالكي.[1]

A. — Treatment by cautery.

1- عبد الرزاق أحمد، مرجع سابق، ص 153.

الملحق رقم 09

علامات بالحبر لتحديد مكان الكي.[1]

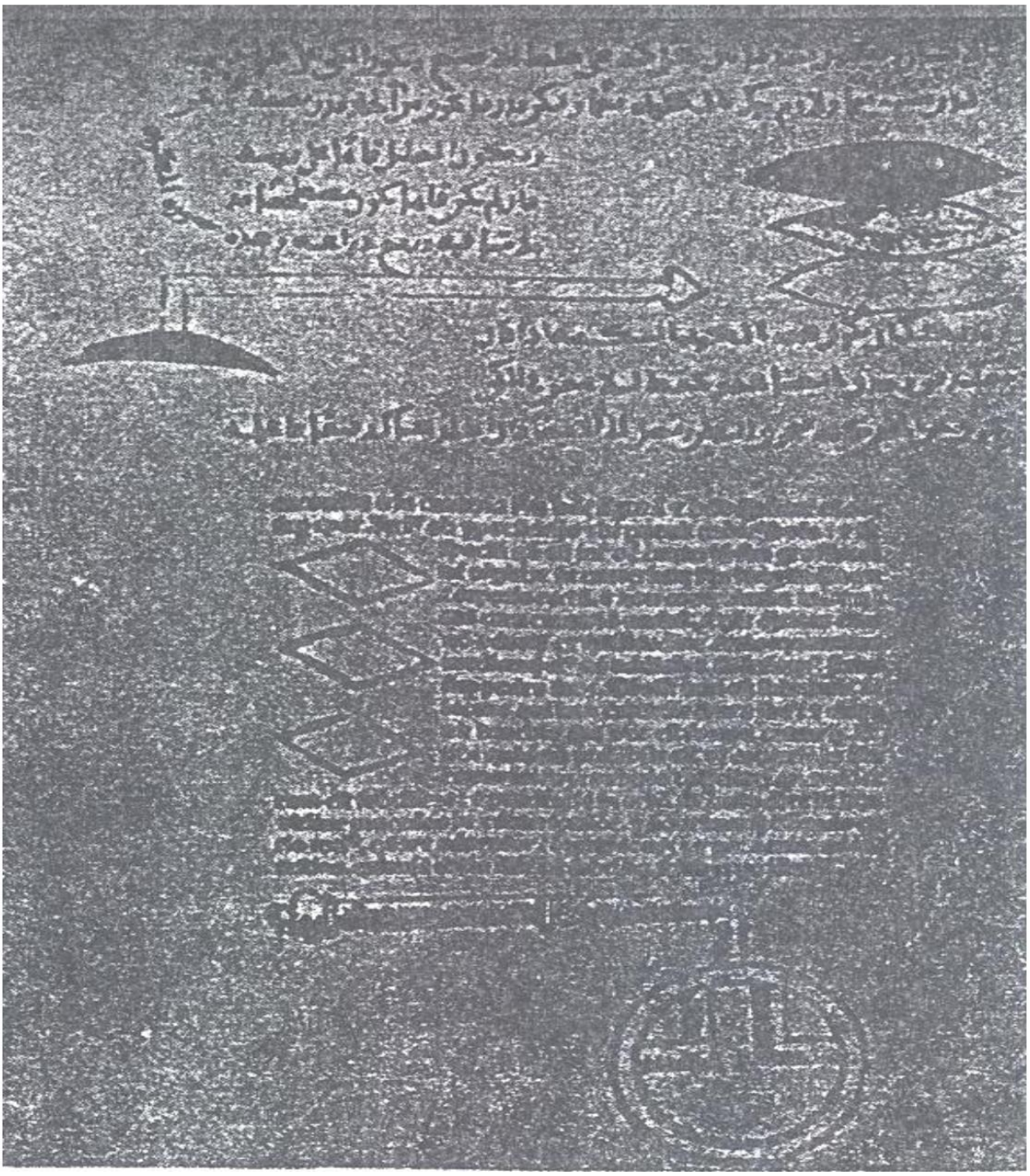

1- عبد الله بابا، مؤمن أنيس، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، (1-656هـ) / (622-1258م)، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ، إشراف رياض مصطفى، أحمد شاهين، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة غزة، 2009، ص247.

الملحق رقم 10

جبيرة ذراع.[1]

1- عبد الله بابا مؤمن أنيس، مرجع سابق، ص 240.

الملحق رقم 11

أدوات جراحية.[1]

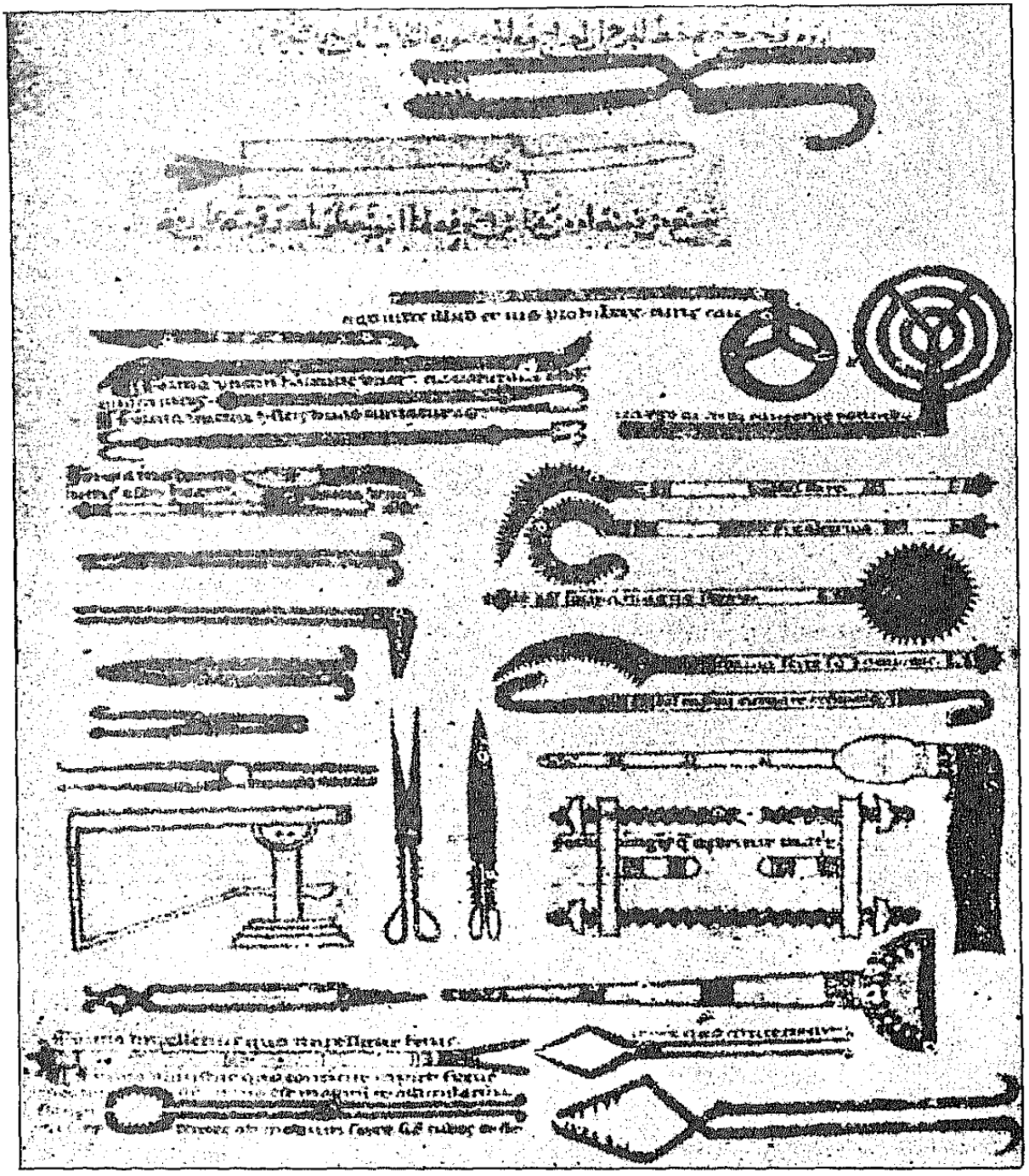

1- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب: أثر الحضارة العربية في أوروبا، تر: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، الدار الجماهيرية للنشر، ط 9 المغرب، 1991، ص 571، ينظر: عبد الرحمان مرحبا، المرجع السابق، ص264.

الملحق رقم 12

أدوات للحجامة.[1]

1- خلقي خنفر، تاريخ الحضارة، ط1، الاعتصام للطباعة والنشر، الخليل، فلسطين، 1991، ص 450.

قائمة المصادر والمراجع

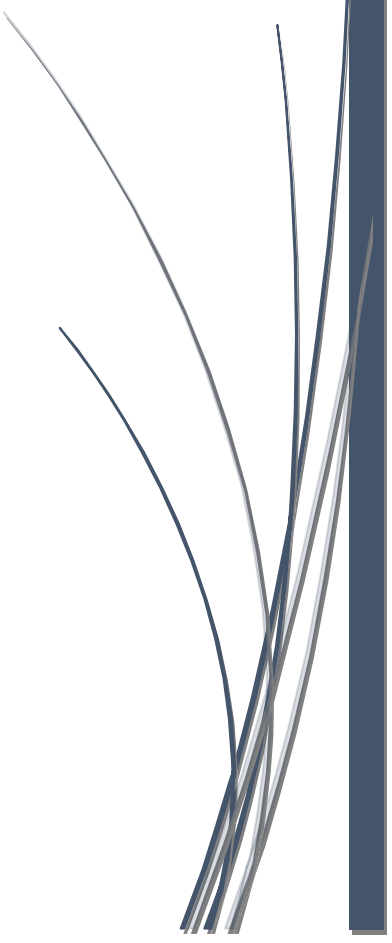

المصادر

1. القرآن الكريم.
2. إبن أبي أُصيبعة (موقف الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة) ت(668هـ/1269م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج2، إعادة الطبعة في القاهرة، معهد تاريخ العلوم العربية فرنكفورت، 1995م.
3. ابن أبي الزرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس، الرباط، دار المنصور للطباعة الورقية، 1972.
4. إبن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، ط2، تحقيق محمد حامد الفقي، دار إحياء التراث العربي، ج6، ط2، بيروت، 1980.
5. إبن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1423هـ/2003م.
6. إبن الثغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج10، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، مصر، 1963.
7. إبن الخطيب أبي عبد الله محمد بن عبد الله، مقنعة السائل في المرض الهائل، تح حياة قارة، الرباط، مطبعة الكرامة، 2015.
8. ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد السلمان، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب، تحقيق وتقديم السعدية فاغية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
9. ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج1، مطبعة الموسوعات، مصر، 1901.
10. ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تحقيق كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002.
11. إبن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1968، ج1.
12. إبن القيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق عبد الخالق، طبع التعاليق الطبية، عادل الأزهري وخرج الأحاديث محمد فرج، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1957.

13. ابن خلدون، المقدمة، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ المغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، مر سهيل زكارة، دار الفكر للطباعة، بيروت، 2022.
14. ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ المغرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، مر سهيل زكارة، دار الفكر للطباعة، بيروت، 2002.
15. إبن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، (المجلد السادس)، ج7، بيروت، 1973.
16. إبن سينا: الأرجوزة في الطب، عُني بنشرها وترجمتها إلى اللغة الفرنسية جان جابي، عبد نور الدين، باريس، 1956.
17. إبن سينا، القانون في الطب، القاهرة، 1294هـ، ج2.
18. ابن سينا، القانون في الطب، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1999، ج1.
19. إبن عذاري محمد بن أحمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق محمد ابراهيم الكتالي، بيروت دار الغرب الإسلامي، 1985.
20. إبن قنفذ أحمد بن علي الخطيب، أنس الفقير وعز الحقير، الرباط، منشورات المركز الجامعي، 1965.
21. ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تر عبد الغني الخارق، دار الفكر، بيروت، 1957.
22. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، تح شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998.
23. إبن مرزوق شمس الدين أبو عبد الله محمد التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، دراسة وتحقيق ماريا خيتوس فيغيرا، تقديم محمود بوعباد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
24. إبن مريم: البستان في ذكر الأولياء بتلمسان، نشره محمد بن أبي شنب، وقدم له عبد الرحمن طالب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1986.
25. إبن منظور أبي الفضل جمال الدين (711هـ/1311م): لسان العرب، ج3، ط3، دار إحياء التراث، بيروت، 1999.

26. ابن هيدور علي بن عبد الله التادلي، الأمراض والأوبئة، الخزانة الحسنية، الرباط، مخطوط رقم 9650،
27. أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، المطبعة الأميرية، 1915.
28. أبو بكر الرازي، أخلاق الطبيب، تق وتح عبد اللطيف محمد العيد، ط1، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1977.
29. أبو بكر الرازي، الحاوي في الطب، تص محمد محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2.
30. أبو حمو موسى الزياني التلمساني، (ت791هـ/1388م)، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تونس، مطبعة الدولة التونسية، 1279هـ/1862م.
31. أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، ج2، دار الصادر، بيروت، 1977.
32. أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تح محمد أبو الجفان، جامعة تونس، 1978.
33. أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (بن جلجل): حكماء وأطباء، تح فواد سيد أمين، دار الكتاب المصرية، مطبعة العهد للآثار المشرقية، القاهرة.
34. الأنطاكي، داود عمر، بغية الرواد في المجرب من العلاج بيروت، دار الفكر، 1995.
35. التنبكتي أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، 963 1036، تق عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج2، طرابلس.
36. التنسي محمد بن عبد الله: تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود آغا بوعياد، الجزائر، موفم للنشر، 2011.
37. الحسن بن محمد الوزان، وصف افريقيا، ط2، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983.
38. الخليل ابن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ط1، تح عبد الحمد الأهنداوي، دار الكتاب العلمية، ج3، 2003.

39. السخاوي شمس الدين محمد بن محمد عبد الرحمن (ت902هـ)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، (د.ط)، بيروت، لبنان، (د.ت).
40. السلاوي أبو العباس احمد الناصري (ت 1315هـ/1897م)، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، ج1، ج4، الدولة المرينية، تحقيق جعفر الناصري، الدار البيضاء، 1954م.
41. الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد (ت 704هـ): عنوان الدراية فيمن عُرف من المئة السابعة ببجاية، تح رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1987.
42. المقريزي تقي الدين بن أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت845هـ): كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، تح محمد عبد القادر عطا، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.
43. الناصري أبو العباس احمد بن خالد: الاستقصاء في لأخبار دول المغرب الأقصى، ج4، تح جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997.
44. الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، ج12، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، الرباط ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1401هـ/1981م.
45. شهاب الدين بن أحمد المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح حسان عباس، م1، دار صادر، بيروت 1988.
46. لسان الدين بن الخطيب: معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، تح ودر محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.
47. محمد العبدري البلنسي: الرحلة المغربية، ت سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط1، الجزائر، 2007.
48. محمد بن أحمد الخوارزمي: مفاهيم العلوم، تح: إبراهيم الابياري، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1984.
49. محمد بن أحمد بن القاسم التلمساني العقباني: تحفة الناظر وعُنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تح علي شوقي، Bulletin d'études orientales، مج19، فرنسا، 1967.

50. محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان للطباعة، 1975.
51. محمد علي التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح عي دحروج، ط1، مكتبة لبنان، ناشرون لبنان، 1991، ج2.
52. مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004.

المراجع:

1. Darmon, Origine et Constitution de la Communité Israélite à Tlemcen, Revue Africaine, V14, 1870, PP 367 383.
2. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500 1830، دار المغرب الإسلامي، ط1، 1998.
3. أحمد شوقي الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ط1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1991.
4. أحمد عيسى: تاريخ المارستانات في الإسلام، هنداوي للتعليم والثقافة، 2012.
5. الآغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السُعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر ميلادي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
6. البياض عبد الهادي الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والاندلس، ق6_8هـ/12_14م، بيروت دار الطليعة، 2008.
7. الحاج رمضان محمد شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ج1، 2011.
8. الحسين بولقطيب، جوائح وأوبئة، المغرب في العهد الموحدي، الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة، 2022.
9. الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1906.

10. الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، الطب النبوي، القاهرة، 1972.
11. الزِّركلي، الأعلام، ج4، القاهرة، 1959.
12. السرجاني راغب، قصة العلوم الطبية في الحارة الإسلامية، مؤسسة إقرأ، ط1، القاهرة، 2009.
13. باقر أمين الورد، معجم علماء العرب، ج1، مزذكوربرس عواد ط مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1986.
14. بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، جامعة نابلس.
15. جعفر مرتضى العاملي، الآداب الطبية في الإسلام، ط2، المركز الإسلامي للدراسات، 2009.
16. جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين 3 4هـ/9 10م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.
17. جورج شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والوسيط، مؤسسة الهنداوي، 1959.
18. حسان جعفر: الأمراض المعدية، دار النصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1988.
19. حكمت نجيب عبد الرحمن، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، جامعة الموصل، 1314هـ/1977م.
20. خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد السلطان يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية، 633 681 هـ /1235 1282م، دار الألمعة للنشر والتوزيع، تلمسان، 2010.
21. خالد بلعربي، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني، (698_845هـ/1299_1442م)، دورية كان التاريخية، العدد 4.
22. خلقي خنفر، تاريخ الحضارة، ط1، الاعتصام للطباعة والنشر، الخليل، فلسطين، 1991.
23. زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1981.
24. زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا، تر: فاروق بيضون، كمال الدسوقي، الدار الجماهيرية للنشر، ط 9 المغرب، 1991.

25. سعيد بن حمادة: الماء والإنسان في الأندلس خلال القرن 7و8 هـ/13و14م، إسهام في دراسة المجال والمجتمع والذهنيات، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2007.
26. سمية مزدور، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، (588 927هـ/1192 1520م)، رسالة الماجستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009.
27. شحادة عبد الكريم، صفحات من تاريخ التراث العربي الإسلامي أكاديميا، دط، بيروت، 2005.
28. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى عصر النهضة، ط2، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980.
29. عباس حربي، وآخرون: العلوم عند العرب: أصولها وملامحها الحضارية، دار النهضة العربية، بيروت، 1995.
30. عبد الجليل القريان، التعليم في تلمسان في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 1432هـ/2011م.
31. عبد الحكيم عبد الله، إعجاز الطب النبوي، ط1، دار الآفاق العربية، مصر، 1998.
32. عبد الحميد قضاة: تفوق الطب الوقائي في الإسلام، ط1، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، عُمان، 1987.
33. عبد الخليل قريان: التعليم في العهد الزياني، جسور للنشر والتوزيع، ط1، 2011.
34. عبد الرزاق أحمد: الحضارة العربية في العصور الوسطى العقلية والنقلية، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة.
35. عبد العزيز فيلالي، بحوث في تاريخ المغرب في العصر الوسيط، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، 2014.
36. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج1، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
37. عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ج2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2022.
38. عبد الكريم شحادة، صفحات من تاريخ التراث الطبي العربي الإسلامي، إنترناشيونال للنشر والطباعة، بيروت، 2005.

39. عثمان بوحجرة، الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519 1830م، مقاربة اجتماعية، رسالة ماجيستير غير منشورة، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، الجزائر، 2015.
40. عز الدين جسوس، الكوارث الطبيعية والأوبئة ومدى تأثيرها على العلاقة بين الرعية والسلطان والسياسة خلال حكم المرابطين، ضمن الايام الوطنية العاشرة المجاعات والاوبئة في تاريخ المغرب الجديد والجمعية المغربية للبحث العلمي، أكتوبر، 2002.
41. عمورة عمار: الموجز في تاريخ الجزائر، ط1، دار الريحانة، 2022.
42. فيصل بن محمد عراقي: الأعشاب دواء لكل داء، ط1، مكة المكرمة، 1413هـ.
43. محمد إسماعيل حداد، المجمل في آثار الحضارة الإسلامية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة،2006.
44. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في السياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.
45. محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، م1، طبعة الكويت، 2006.
46. محمد حبش، المسلمون وعلوم الحضارة، ط1، دار المعرفة، دمشق 1996.
47. محمد عادل عبد العزيز، التربية الإسلامية في بلاد المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الاندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1987.
48. محمد كامل حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ج2، ليبيا.
49. محمد ياسر الهلالي: أثر القحط والمجاعات والأوبئة على الأنشطة الاقتصادية في المغرب الأقصى خلال أواخر العصر الوسيط، ضمن الأيام الوطنية العاشرة المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الجديدة، الجمعية المغربية للبحث، 2002.
50. محمود آغا بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط، ق9هـ/15م، ط2، دار ثالة، الجزائر، 2011.
51. مختار الحساني، تاريخ الدولة الزيانية، ج3.
52. مسعود خوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج5.

53. يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، تلمسان في عهد يغمراسن.
54. يحيى إبن خلدون أبو زكريا بن محمد، (ت780هـ/ 1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد الجزء الأول تحقيق عبد الحميد حاجيات المكتبة الوطنية الجزائر، 1980.

المذكرات:

1. إيمان يخلف، المنظومة الطبية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن (2 8ه/8 14م) مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي 1945.
2. رزيوي زينب: العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 7 9هـ/13 15م أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة سيدي بلعباس 2016/11/22. السنة الدراسية 1436-1437 /2015-2016م.
3. زهوة أعزيبي، ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018.
4. سلاوي خديجة: الحياة الاجتماعية للدولة الزيانية (633-962هـ/1235-1555م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2013.
5. سلمى ماضوي: الطب والأطباء في المغرب الأوسط خلال (6-10هـ/12-16م)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، جامعة المسيلة، 2019.
6. صديقي محمد: القبيلة في الدولة الزيانية (633 962 هـ/1235 –1555م) مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة طاهر مولاي سعيدة، 2018.
7. عبد الخليل قريان: العلوم العقلية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني 962-633هـ/ 1235-1554م، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراء في التاريخ الإسلامي، جامعة قسنطينة2، 2015.
8. عبد الله بابا، مؤمن أنيس، البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، (656هـ) / (622 1258م)، مذكرة لنيل درجة الماجيستير في التاريخ، إشراف رياض مصطفى، أحمد شاهين، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة غزة، 2009.

9. فايزة بوخضار: مدارس المغرب الأوسط الزيانية والمرينية (دراسة تاريخية أثرية)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
10. نعيمة بوكرديمي: الرحلة العلمية لعلماء المغرب الأوسط إلى المغرب الأدنى من القرن (7-9هـ/13-15م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط، جامعة سيدي بلعباس، 2016.

الدوريات:

1. العرباوي عمر، هجرة الأطباء العرب واليهود إلى تلمسان.
2. خالد بلعربي: المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني (698-845هـ/1299-1442م)، دورية كان التاريخية، ع4، يونيو 2009.
3. خالد حموم: بجاية في العصر الوسيط دارسة في أحوالها الاقتصادية من القرن 5-10هـ/16-11م، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد 17 ،2022.
4. ريم محمود راشد: الأمراض والأوبئة في مجتمع المغرب الأوسط القرن 7هـ/13م، مجلة المختار للعلوم الإنسانية، مجلد 39، العدد 1، 2021.
5. علي محمد الطاوع: مدخل إلى الطب الإسلامي، مجلة رسالة الإمام، ع5، وزارة الأوقاف، مصر، 1985.
6. سعدي شخوم: منظومة العلاج في المعرفة الصحية بتلمسان الواسطية، المجلة الجزائرية للدراسات والبحوث التاريخية، م7، ع2، ديسمبر 2021.
7. قاسمي بختاوي: الطب والأطباء بتلمسان في العهد الزياني، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد 4، ديسمبر 2016.
8. مختار رحاب: الصحة والمرض وعلاقتهما بالنسق الثقافي للمجتمع، مقاربة من منظور الأنثروبولوجيا الطبية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الخامس عشر، 2014.
9. مغنية غرداين: قراءة في الحركة العلمية تلمسان الزيانية (633-992هـ/1236-1554م)، مجلة علوم الإنسان والمجتمع، ع24، سبتمبر 2017.
10. يحياوي جمال: الهجرة الأندلسية على تلمسان، آثار الهجرة الأندلسية على تلمسان، مجلة الوعي، العدد المزدوج (3 4) أفريل ماي، تلمسان 2011.

فهرس المحتويات

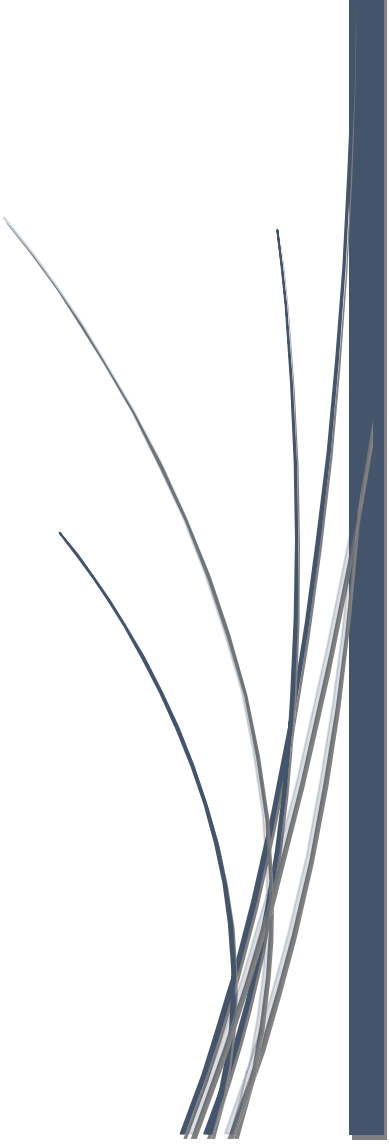

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
الإهداء	
الشكر	
مقدمة	
مدخل تمهيدي: تلمسان تاريخيا وجغرافيا	
1- لمحة جغرافية عن تلمسان في العهد الزياني (633-923 هـ/ 1235-1517م)	09
1-1 الموقع الجغرافي	09
1-2 الخصائص الطبيعية	10
2- لمحة تاريخية عن تلمسان في العهد الزياني	11
2-1 أصل التسمية	11
2-2 أصل بني عبد الوادي (الزيانين)	13
2-3 السكان في تلمسان الزيانية	15
الفصل الأول: الأوضاع الصحية العامة في تلمسان	
المبحث الأول: الطب في تلمسان في العهد الزياني	17
المطلب الأول: إهتمام حكام بنو زيان بالطب	17
1- تعريف الطب	17
1-1 تعريف الطب لغة	17
1-2 تعريف الطب اصطلاحا	17
1-3 الطب في القران الكريم	18
2- اهتمام الحكام بالعلوم الطبية	19
3- الجهود المبذولة في مواجهة المجاعات والأوبئة:	21
المطلب الثاني: أسباب تدهور الأوضاع الصحية في تلمسان الزيانية	23
1- الأسباب الطبيعية	23
2- الأسباب البشرية	24
المطلب الثالث: أهم **المجاعات** في تلمسان في العهد الزياني	26
1- تعريف المجاعة	26

2- أهم المجاعات	26
2-1 مجاعة 698-706 هـ/ 1299-1306م	26
2-2 مجاعة 776هـ/1374م	28
المبحث الثاني: الأمراض وطرق العلاج والأدوية	30
المطلب الأول: الأمراض والأوبئة وانعكاساتها على المجتمع التلمساني في العهد الزياني	30
1- تعريف المرض	30
2- تعريف الأوبئة	30
3- أهم الأوبئة والأمراض التي ظهرت في تلمسان في العهد الزياني وانعكاساتها	32
3-1 الطاعون	32
3-1-1 الطاعون الأسود (750-751هـ/ 1349-1350م)	33
3-1-2 طاعون 764-765هـ/ 1363-1364م	34
3-1-3 طاعون 845هـ/ 1442م	35
3-2 نتائج انعكاسات الأوبئة على تلمسان	36
3-2-1 النتائج السياسية	36
3-2-2 النتائج الاقتصادية	36
3-2-3 النتائج الاجتماعية	38
3-2-4 النتائج الثقافية والعلمية	39
المطلب الثاني: طرق العلاج	40
1- الطب الوقائي	40
2- العشابون	42
3- العلاج الروحي	43
4- العلاج بالسحر والشعوذة	43
5- النساء القوابل	44
6- العلاج الطبي العلمي	45
المطلب الثالث: الأدوية	46
الفصل الثاني: المؤسسات والمنشآت الطبية والتعليمية في تلمسان الزيانية	
المبحث الأول: المؤسسات التعليمية والطبية والصيدلانية	49
المطلب الأول: المدارس والمساجد	49

المطلب الثاني: المؤسسات الاستشفائية البيمارستانات والصيدليات	51
1-البيمارستانات	51
1-1 البيمارستان الثابت	51
1-1-1 مارستانات مدنية	52
1-1-2 مارستانات سلطانية	53
1-2 مارستان محمول	54
2- الصيدليات	54
المبحث الثاني: الأطباء ومؤلفاتهم	57
المطلب الأول: الأطباء	57
1-تعريف الطبيب	57
1-2 صفاته وشروط اختياره	58
2-أهم الأطباء	59
المطلب الثاني: أهم المؤلفات الطبية	67
خاتمة	72
الملاحق	75
قائمة المراجع والمصادر	88
فهرس المحتويات	99

الملخص:

عُرفت تلمسان عبر العصور باعتبارها مركزًا متألقًا للإشعاع العلمي والثقافي، ومقصدًا للعلماء والطلاب المتطلعين للمعرفة. فقد جذبت هذه المدينة عددًا كبيرًا من المفكرين والعلماء من الشرق والغرب، بفضل حكامها الذين اشتهروا بحبهم للمعرفة وأهلهم، فقد أنشأوا مؤسسات تعليمية متنوعة، مثل المساجد والمدارس والزوايا، وتنافسوا في استقطاب العلماء واقتناء الكتب وإقامة المكتبات، بالإضافة إلى حضورهم المجالس العلمية والمناظرات.

نتيجة لهذا النشاط الحافل، تألقت تلمسان بصفتها عاصمة بني زيان، فقد أولوا العلماء والأطباء اهتمامًا كبيرًا في هذه الفترة من حكمهم، حيث ساهموا في إثراء التراث الإنساني من خلال أعمالهم.

Abstract

A travers les âges, Tlemcen a été connue comme un centre brillant de rayonnement scientifique et culturel, attirant les érudits et les étudiants en quête de savoir. Cette ville a attiré un nombre important de penseurs et de scientifiques d'Orient et d'Occident, grâce à ses souverains réputés pour leur amour du savoir et de leur peuple. Ils ont créé diverses institutions éducatives, telles que des mosquées, des écoles et des zawiyas, et ont rivalisé pour attirer des savants, acquérir des livres, créer des bibliothèques et participer activement à des conseils et des débats scientifiques.

Grâce à cette activité dynamique, Tlemcen est devenue la capitale des Zianides. D'éminents savants de diverses disciplines ont prouvé leur présence dans la ville, contribuant par leurs travaux à l'enrichissement du patrimoine humain. Durant cette période, les savants et les médecins ont bénéficié d'une grande attention de la part des souverains de Tlemcen et ont joué un rôle important dans l'enrichissement de la littérature et des connaissances médicales.